

الاقتصاد المحلي لمدينة الناظور والمجالات المحيطة بها: بنياته واشتغاله وآفاقه

**L'ECONOMIE LOCALE DE LA VILLE DE NADOR ET ESPACES
ENVIRONNANTS : STRUCTURES, FONCTIONNEMENT ET PERSPECTIVES**

**THE LOCAL ECONOMY OF NADOR AND THE SURROUNDING AREAS:
STRUCTURES, FUNCTIONING AND PERSPECTIVES**

Bilal BOUGI

Chercheur en Géographie de l'aménagement et SIG & Cadre sup. à IUAAT
FLSH d'Oujda
Université Mohamed Premier
bilalbougi@gmail.com

Hrou AZZI

Professeur de l'Enseignement Supérieur
FLSH d'Oujda
Université Mohamed Premier d'Oujda
azzihrou@yahoo.fr

Laboratoire de recherche DYMADER

ملخص: ظل الاقتصاد المحلي لمجال الدراسة قبل فترة الحماية الإسبانية مركّزا على النشاط الفلاحي المعاشي، ليشهد بعد ذلك -أي خلال الفترة الاستعمارية- تحولا كبيرا، مس بالأساس بروز نشاط التعدين بجال بني بويغور، حيث كانت تُصدر الخامات المعدنية (الحديد والرصاص) عبر ميناء مليلية المحتلة، الذي كان يرتبط بمناطق الاستخراج بخطين حديدين، كما ظهرت فلاحية عصرية بسهلي الكارت وبوعرگ معتمدة على مياه الفرشة الباطنية، وإعطاء اهتمام للقطاع التجاري وخاصة الأسواق الأسبوعية التي تم تحديثها وربطها بطرق المواصلات، وكذا خلق مراكز تجارية صغرى بالنوى العمرانية التي أسستها السلطات الاستعمارية، هذا علاوة على ظهور بعض الأنشطة الأخرى.

غير أن التحول الحقيقي الذي عرفه هذا الاقتصاد، هو الذي شهدته فترة بعد الاستقلال، ولا سيما منذ أواخر الستينيات حيث تم تأميم قطاع المناجم، وتوسيع الاهتمام بالقطاع الفلاحي من خلال أشغال التهيئة الهيدروزرعية التي همت أراضي السهلين المذكورين، وإحداث ميناء للصيد العصري ببني أنصار، وظهور مناطق صناعية بالمنطقة الواقعة بين سلوان والعروي وأخرى تابعة لميناء بني أنصار، أما القطاع التجاري فقد شهد تطورا إيجابيا مهما، بفضل وجود جيب مليلية المحتل الذي تتدفق عبره كميات كبيرة من السلع المهربة، الموجهة أساسا نحو مدينة الناظور -التي أحدثت بها بنى تحتية تجارية كبرى- لإعادة توزيعها وبيعها بالجملة والتفصيل، هذا إلى جانب الانتعاش المهم الذي شهده رواج الأسواق الأسبوعية، كما نال القطاع البنكي أهمية كبرى ضمن هذا الاقتصاد نظرا لسيولته المالية المهمة المرتبط أساسا بالهجرة الدولية.

ولكن الملاحظ أن هذا الاقتصاد بدأ يشهد منذ بداية الألفية الثالثة تغيرا جديدا، متجسدا في تراجع أهمية بعض الأنشطة لصالح أخرى؛ بحيث أصبح التوجه العام منصبا على الصناعة والتجارة الدولية والسياحة وهيكل القطاع التجاري الذي غلب عليه نشاط التهريب، ما يعني أن آفاق هذا الاقتصاد ستنحصر حول الأنشطة التي بإمكانها تحسين أداء الاقتصاد المهيكل والقدرة على توسيع الانفتاح على الخارج.

كلمات المفاتيح: الاقتصاد المحلي – أنشطة – الانفتاح على الخارج – المجالات المحيطة – مدينة الناظور.

Résumé

Au début de sa création, à l'époque du protectorat espagnol, le centre de Nador, se basait sur une agriculture de subsistance. Une activité qui sera renforcée par l'extraction minière sur le site de Bni Bouafrouf qui exportait les mines de fer et de plomb vers l'Espagne par le port de Melilla, à travers deux lignes ferroviaires qui reliaient le port aux zones d'extraction. Les germes d'une agriculture moderne, naissaient déjà, dans les deux plaines de Bouareg et Garet sur la base de l'exploitation des eaux de la nappe souterraine. Toute cette dynamique, développe, en parallèle, des activités de commerce autour des souks ruraux dont la fréquentation se ravivait grâce à l'amélioration du réseau des routes. Aussi, autour des places de commerce dans les nouveaux centres développés dans le cadre de la politique coloniale.

Les véritables changements dans la structure des activités de la base économique se produiront à partir des années 60. C'est la nationalisation des activités minières, l'élargissement du domaine de l'agriculture moderne par la mise en place d'aménagements hydroagricoles dans les plaines de Bouareg et Garet, le port de pêche moderne à Bni Nsar et l'aménagement de zones industrielles à Selouane, Aroui et au port de Bni Nsar. La proximité de l'enclave de Melilla a permis de développer une place de commerce de rayonnement régional ou même national grâce au commerce frontalier. Le secteur bancaire à Nador et grâce aux transferts des marocains de l'extérieur, place la ville au rang de place financière nationale.

La troisième phase est celle qui se dessine à partir du début de ce siècle. Une tendance à une restructuration de l'économie et une priorité aux secteurs de l'industrie, du commerce international et au tourisme. Les perspectives de l'économie de la ville et de son environnement s'orientent vers le secteur formel et aux activités d'ouverture sur l'international.

Mots clés : économie locale - activités - ouverture économique - espace environnant - Nador.

Abstract

The local economy of Nador before the Spanish protectorate depended mainly on subsistence farming. But during the occupation period, the economy had a major change. Mining started on Beni Bouafrouf site. Therefore, iron and lead were exported to Spain through the port of Melilla. A couple of railway lines linked the extraction sites and the port. Also, modern agriculture started on the plains of Bouarg and Garet by exploiting underground water. Moreover, trade was given importance through organizing weekly markets (souks) which were linked with roads and through creating small trade centers in urban areas which were set up by the colonial authorities. There were other economic activities that appeared contemporaneously.

However, the remarkable change of the local economy occurred after independence, especially by the end of the 1960s. Mining was nationalized and the sector of agriculture attracted more attention through the hydro-agricultural preparation works of Bouarg and Garet plains. A modern fishing port in Bni Nsar was constructed. New industrial zones were created in Selouane, Arouit and the port of Bni Nsar. Trade also developed thanks to the smuggled goods that came out of Melilla towards Nador where they were sold either at wholesale or at retail. The banking sector developed as well due to money transfers of international immigration.

It is observed that the local economy witnessed a new change in the third phase. At the beginning of the new century, some economic activities declined. The general orientation focused on industry, international trade and tourism. The focus was on improving structured economy and external openness.

Keywords : local economy - activities - economic opening - surrounding areas - Nador.

مقدمة

يستأثر الاقتصاد المحلي باهتمام واسع من طرف السلطات المحلية كما الجهات الرسمية الوطنية، نظرا لمساهمته الفعالة في تحريك عجلة التنمية الاقتصادية المحلية والوطنية، وغالبا ما يبنني تطوير هذا الاقتصاد على استغلال الموارد المحلية المتاحة، وذلك من خلال سن مجموعة من الاستراتيجيات على مختلف مستوياتها التي تنبثق عنها برامج ومشاريع اقتصادية متنوعة.

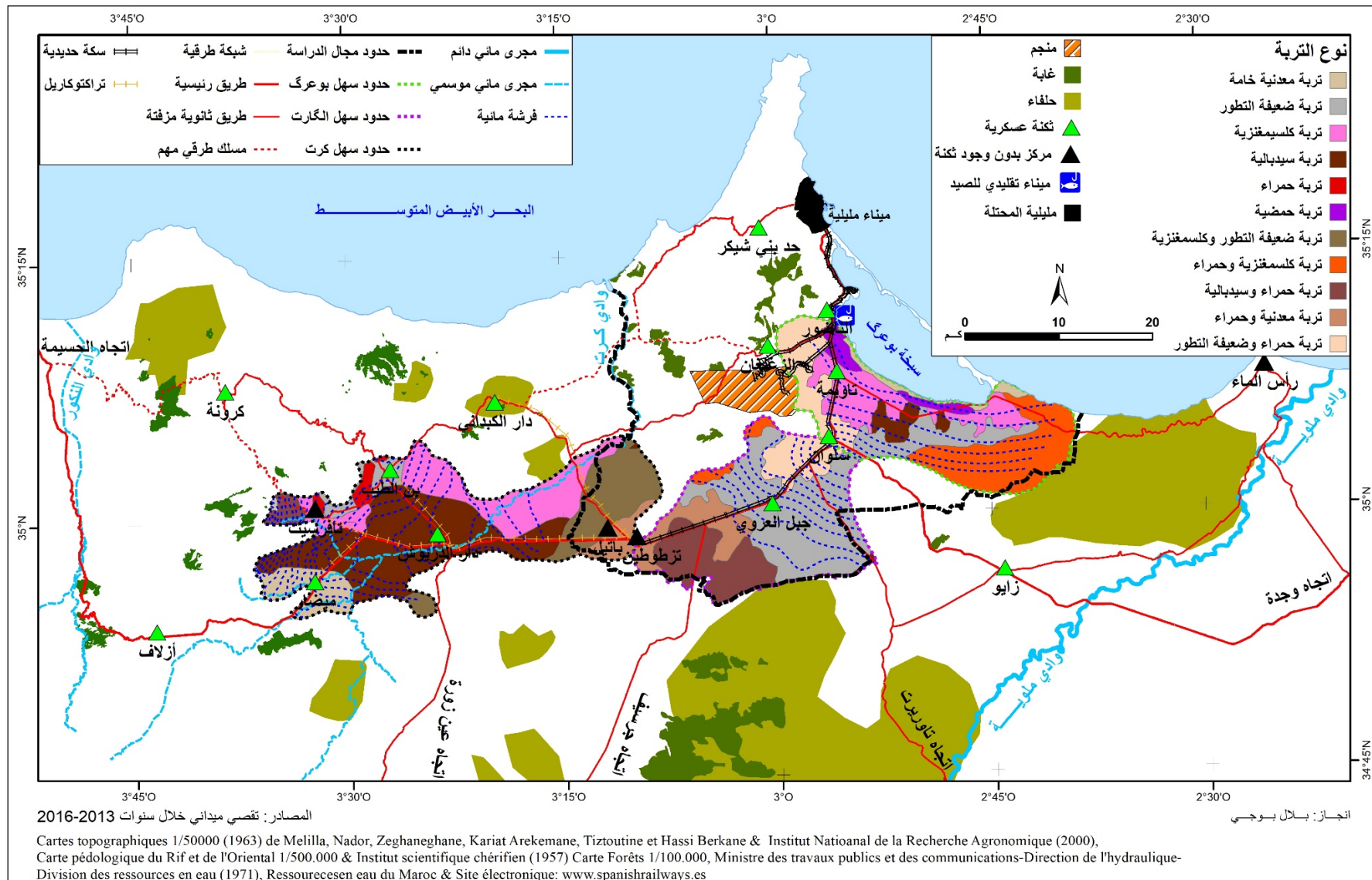
وبما أن مجال الدراسة كان أحد الأقاليم الوطنية التي سقطت تحت الحماية الإسبانية في مطلع القرن الماضي (1908)، فإنه خضع للمنطق الإمبريالي الذي حرص على استغلال الموارد الترابية للمناطق المحتلة، إذ على أساس ذلك ظهرت المبادرة الأولى لخلق تحول اقتصادي بهذا المجال، الذي انتقل من الاعتماد على النشاط الفلاحي المعاشي إلى ظهور أنشطة اقتصادية عصرية لها علاقة بالسوق الخارجية. ولقد استمر هذا التغير حتى بعد فترة الاستقلال من خلال إقرار مجموعة من الأوراش التنموية الكبرى التي استهدفت النهوض بالعديد من الأنشطة، التي جعلت الاقتصاد المحلي في تغير مستمر.

فعلى أساس ذلك، فإن السؤال الرئيسي لهذا البحث، هو كالاتي: ما المراحل الأساسية التي مر منها تطور الاقتصاد المحلي لمجال الدراسة، وما هي آفاقه المستقبلية؟

1. الانتقال من الاقتصاد المركز على الفلاحة التقليدية المعاشية إلى استغلال الموارد الطبيعية بطرق عصرية قبل وأثناء الفترة الاستعمارية

في ظل الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة التي كان يعيشها المغرب الشرقي بصفة عامة ومجال الدراسة بصفة خاصة أواخر القرن 19 وبداية القرن 20؛ بحيث لم يكن هناك استغلال لمعظم الموارد الترابية المتاحة، شرعت السلطات الاستعمارية الإسبانية (1908) في خلق أولى التغيرات على مستوى الاقتصاد المحلي من خلال تعبئة العديد من هذه الموارد.

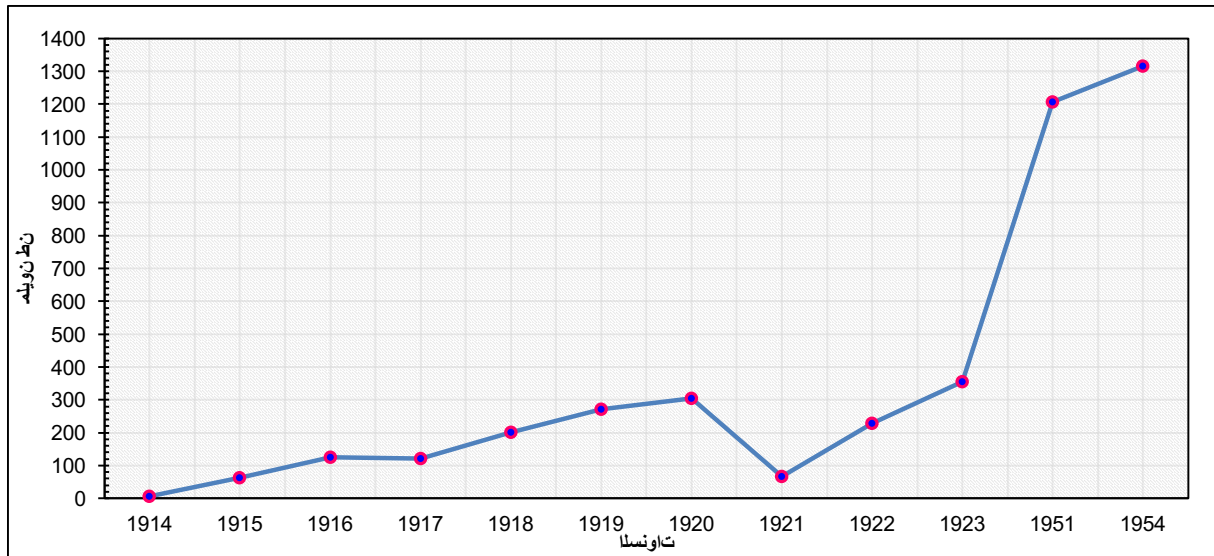
الخريطة 1: الموارد الطبيعية المستغلة خلال الفترة الاستعمارية بشمال الريف الشرقي



1.1. استغلال مناجم جبال بني بوفروور

اكتسب استغلال المناجم بجبال بني بوفروور (الجنوب الغربي لمدينة الناظور) مكانة مهمة في الاقتصاد المحلي لمجال الدراسة أثناء فترة الحماية الإسبانية، وقد بدأ استغلال وتصدير أولى خامات هذه المناجم في سنة 1914 عبر ميناء مليلية المحتلة، وكانت تشرف على استخراجها شركتان إسبانيتان هما: "الشركة الإسبانية لمناجم الريف" (La Compañía Española de Minas del Rif) التي كانت تستخرج معدن الحديد من "جبل إكسان" وكذا من المكان الذي كان يسميه الإسبان بـ "سان جوان"، و"شركة شمال إفريقيا" (North Africa Minas del Rif) التي كانت تستخرج خامات الرصاص من جبل أفرا (الخريطة 1 والصورتان 1 و2).

الشكل 1: تطور كمية معادن جبال بني بوفروور المنقولة عبر السكك الحديدية والمصدرة عبر ميناء مليلية ما بين 1914 و1954



المصدر: Ferrocarriles de Espana (27/03/2012),

Chemin de fer de la compagnie Espagnole des mines du Rif – Protectorat du Maroc, 14/06/2015 [En ligne], <http://www.spanishrailway.com>

الصورة 2: شحن المعادن المستخرجة من جبال بني بوفروور عبر قاطرات السكك الحديدية لتصديرها خلال فترة الحماية



المصدر: Ibid.

الصورة 1: استخراج المعادن من جبال بني بوفروور من طرف الشركات الإسبانية خلال فترة الحماية



المصدر:

Ferrocarriles de Espana (27/03/2012), op.cit., 14/06/2015 [En ligne], <http://www.spanishrailway.com>

شهد الاستخراج المعدني (الحديد والرصاص) الموجّه للتصدير تطورا إيجابيا مهما؛ إذ انتقلت كميته من 6 100 طن سنة 1914 إلى 305 475 طن سنة 1920، وقد تراجعت هذه الكمية في سنة 1921 إلى حدود 65 863 طن، ويرجع السبب في ذلك إلى المواجهة التي وقعت بين القوات الإسبانية والمقاومة الريفية بأنوال (1921)، إلا أنها عرفت ارتفاعا من جديد بعد هذا التاريخ؛ حيث بلغت 354 555 طن في سنة 1923، ثم 1 315 652 طن في سنة 1954 (الشكل 1).

وقد قُدرت كمية المعادن المستخرجة من جبال بني بوفورور، والمصدرة عبر ميناء مليلية المحتلة بـ 48 مليون طن، أي بمعدل مليون طن كل سنة (من 1914 إلى غاية أواخر الخمسينات). على الرغم من أن استغلال هذه المناجم كان يخدم الاقتصاد الاستعماري، إلا أنه خلق دينامية اقتصادية محلية مهمة، ولا سيما على مستوى خلق فرص الشغل للسكان المحليين التي كانت تتراوح ما بين 3 000 و 4 000 منصب شغل (نبيل حسن، 2015، روبرطاج).

2.1. جمع موارد المجالات الغابوية

شكل الغطاء الغابوي (خاصة الحلفاء والدوم) بمنطقة شمال الريف الشرقي خلال الفترة الاستعمارية (الخريطة 1)، موردا اقتصاديا مهما للعديد من السكان المحليين الذين كانوا يجمعون منتجات هذا الغطاء ويبيعونها للمعمرين الإسبان، قصد تصديرها عبر ميناء مليلية المحتلة، وكانت تتجمع هذه المنتجات ببعض الأماكن حيث كانت توجد الموازين (زاو، وحاسي بركان، الخ)؛ وذلك من أجل تحديد كميتها وقيمتها المالية، ليتم بعد ذلك شحنها عن طريق السكك الحديدية المتجهة نحو ميناء مليلية، من أجل تصديرها إما مباشرة أو بعد إعادة تجميعها في مستودعات خاصة بذلك بموقعي مدينة الناظور وبني أنصار.

ولقد قُدرت الكمية المصدرة من نبات الحلفاء عبر ميناء مليلية المحتلة ما بين 1936 و 1962 بـ 3 470 طن (TROIN, 1967, 12 et 32). وكان لهذا الأمر تداعيات سلبية على تدهور الغطاء الغابوي الذي شهد تراجعا كبيرا خلال الفترة الاستعمارية⁽¹⁾. أما بالنسبة لعدد المشتغلين في هذا النشاط فيصعب الحصول عليه، باعتباره كان نشاطا غير مهيكّل، إلا أنه تبين من خلال المعاينة الميدانية وإجراء عدد من اللقاءات مع كبار السن ومناقشة هذا الموضوع معهم، أنه كان نشاطا اقتصاديا مهما للعديد من الأسر التي كانت تقطن بالقرب من المجالات الغابوية.

3.1. الاستغلال الزراعي العصري لأراضي سهلي بو عرگ والغارت

بالتزامن مع استغلال المناجم وموارد الغطاء الغابوي، عملت السلطات الاستعمارية الإسبانية على استغلال أراضي سهلي بو عرگ والغارت (Plaines Bouarg et El Garet)، حيث يقع الأول بضاحية مدينة الناظور جهة الشرق، بينما يوجد الثاني بالضاحية الشرقية والجنوبية لمركز العروي، ولعل السلطات الاستعمارية أرادت من ذلك خلق وظيفة فلاحية متطورة بضواحي هذه النوى الحضرية، وفق ما توجد عليه العديد من دول العالم التي يكون لها ظهير فلاحي (DERRUAU M., 2005, 367).

يُفسر الاستغلال الزراعي بهذين السهلين بوجود مجموعة من الشروط لعل أهمها: الامتداد المساحي؛ بحيث تصل مساحة سهل الغارت إلى 30 132 هـ، ومساحة سهل بو عرگ إلى 28 813 هـ، ثم وجود فرشاة باطنية سهلة الاستغلال (الخريطة 1)، والتي لا يتعدى عمقها معظم مناطق سهل بو عرگ 15 مترا، مع انخفاض عمقها إلى 5 أمتار وإلى ما دون ذلك بالمناطق الواقعة على طول شريط سبخة بو عرگ، في حين يناهز عمقها 40 مترا بالمناطق الشرقية لهذه الفرشة، ولا تختلف فرشاة سهل الغارت كثيرا عن فرشاة بو عرگ من حيث العمق، حيث العديد من مناطق هذا السهل يقل فيها العمق عن 5 أمتار، وهي موجودة بالوسط وبالجنوب الشرقي والغربي لهذه الفرشة، أما المناطق المحيطة بهذه المناطق فيتراوح عمق فرشيتها بين 5 و 10 أمتار، بينما بهوامشها يرتفع العمق إلى حدود 40 مترا (MTPC, 1971, 173 Tome I). وعلى سبيل المقارنة، تعتبر فرشاة سهل الغارت ضعيفة العمق بالمقارنة مع فرشاة سهل غرت (Plaine du Kerte) الواقع غربه (خارج مجال الدراسة)، والتي يتعدى عمقها في معظم السهل 25 مترا ليصل في بعض المناطق إلى حدود 300 متر.

من هنا يبدو أن العمق المتواضع لفرشتي بو عرگ والغارت كان سببا محفزا للمعمرين الإسبان لضخ واستغلال مياههما في الإنتاج الزراعي، وإن كانت نسبة ملوحتها مرتفعة على عكس فرشاة سهل غرت، مما جعل أراضيها نائية عن

⁽¹⁾ يصعب تحديد المساحة المتدهورة بشكل دقيق بسبب عدم وجود خرائط الغطاء النباتي قبل الفترة الاستعمارية، إلا أنه من خلال شهادات بعض كبار السن، تبين أن المورد تعرض لاستغلال مكثف وعشوائي.

اهتمام المزارعين الأجانب، وإن كانت أتربته أكثر خصوبة (سيادة التربة السيدبالية) بالمقارنة مع أتربة سهلي بوعرگ والغارت.

أما السبب الثالث، فيتجسد في وجود أتربة قابلة للاستغلال الزراعي، وإن كانت خصوبتها على العموم متواضعة. فسهل الغارت يتميز في جزئه الغربي بانتشار الأتربة الضعيفة التطور والحمراء والكلسيمغيزية الضعيفة الخصوبة، فيما يتميز في جزئه الشرقي بسيادة الأتربة الحمراء السيدبالية والحمراء والمعدنية الخصبة والمتوسطة الخصوبة (الخريطة 1)، لذا نجد المعمرين الإسبان ركزوا على استغلال أراضي الجزء الثاني بدل أراضي الجزء الأول، أما بسهل بوعرگ، فتنتشر الأتربة الضعيفة الخصوبة المتمثلة في: الأتربة الضعيفة التطور والتربة الكلسيمغيزية والتربة الحمضية والتربة الحمراء، أما التربة السيدبالية الخصبة فلا تمثل سوى نسبة ضعيفة، حيث تتواجد وسط هذا السهل، ولعل ذلك ما جعل الاستغلال الزراعي ببوعرگ من طرف الأجانب ضعيفا بالمقارنة مع الاستغلال بسهل الغارت.

هذا بالإضافة إلى الموقع الجغرافي المهم لهذه السهول؛ حيث سهولة الاتصال بمدينة مليلية التي كان يتم تصدير بعض المواد الفلاحية عبر ميناءها، بعدما كان يتم شحنها ونقلها بواسطة السكك الحديدية التي كانت تشق هذه السهول (الخريطة 1).

الصورة 3: باب إحدى الضيعات الفلاحية التي كانت موجودة بسهل الغارت خلال الفترة الاستعمارية



المصدر: تصوير بلال بوجي (20 ماي 2016)

في الواقع، ساهم الاستغلال الزراعي بأراضي سهلي الغارت وبوعرگ خلال الفترة الاستعمارية، في الاستقرار المدني للأجانب بكل من مدينة الناظور ومركز العروي، إلا أن ذلك بدا واضحا بمركز العروي أكثر من مدينة الناظور؛ حيث النواة العمرانية الأولى لهذا المركز (الحي الإداري حاليا، أو حومة سوق، أو درب ليهود كما تسميه الساكنة المحلية)، تأسست على يد المزارعين الإسبان الذين كانت لهم ضيعات فلاحية بسهل الغارت (الصورة 3)؛ لذلك كانت نسبتهم مهمة من مجموع السكان المستقرين بجبل العروي خلال عقدي الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي (شهادات لبعض كبار السن، 2014-2015). أما بالنسبة للمزارعين الأجانب بسهل بوعرگ، فكان عددهم أقل من أولئك الذين كانوا موجودين بسهل الغارت، الشيء الذي جعل تمثيليتهم ضعيفة ضمن سكان مدينة الناظور، لكون استقطاب هذه المدينة هم مختلف فئات المجتمع.

4.1. إحداث ميناء تقليدي للصيد البحري بسبخة بوعرگ

في إطار الاستغلال الاقتصادي للموارد الطبيعية، قامت السلطات الاستعمارية في الثلاثينات من القرن الماضي بإحداث ميناء تقليدي صغير للصيد البحري على خط سبخة بوعرگ، وبالتحديد شمال النواة العمرانية الإسبانية (الحي الإسباني) لمدينة الناظور الحالية. فعلى عكس الموارد السابقة الذكر التي كان استغلالها موجها للتصدير بالأساس، كانت منتجات هذا الصيد موجهة للاستهلاك المحلي، خاصة للساكنة المستقرة بالنوى العمرانية التي تشكلت خلال الفترة الاستعمارية (تحقق ميداني، 2014-2015).

الصورة 4: ميناء "سيدي علي" التقليدي للصيد البحري بسبخة بو عرگ خلال الفترة الاستعمارية



المصدر: نفس المرجع



المصدر:

صفحة "صور نادرة وقديمة للناصور" على موقع التواصل الاجتماعي (Facebook) (2017/11/12)، (2017/12/05) (موقع إلكتروني) www.facebook.com/nadorzaman/photos

على الرغم من الأهمية المحدودة لهذا الميناء، إلا أنه كان الميناء الأول والوحيد بالريف الشرقي خلال الفترة الاستعمارية، مما جعل وظيفة الصيد البحري من نصيب مدينة الناصور دون غيرها من المناطق المحيطة بها.

5.1. تحديث الأسواق الأسبوعية وتقوية رواجها التجاري

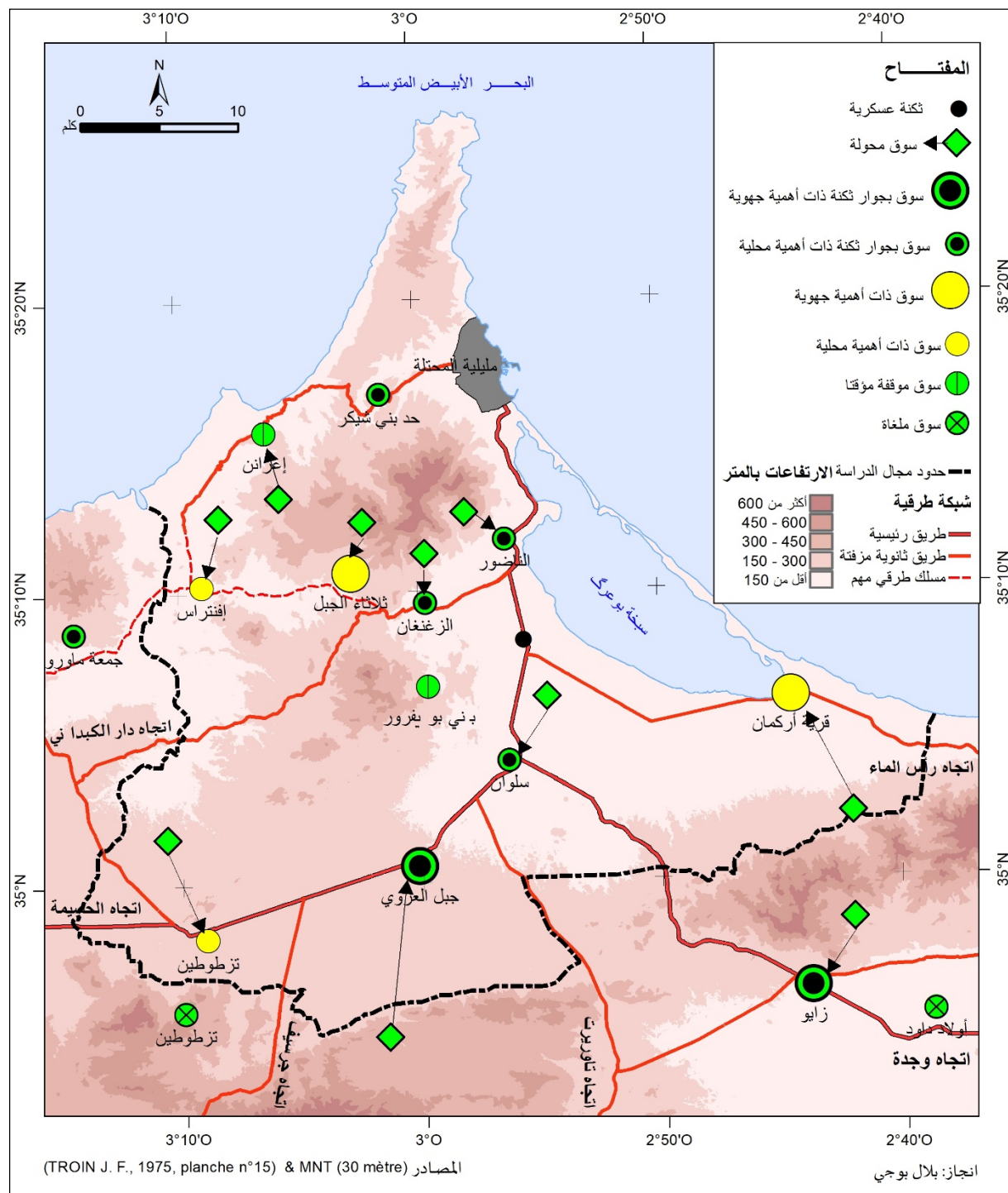
شهدت معظم الأسواق الأسبوعية بشمال الريف الشرقي (43 سوقا) تحولات جذرية أثناء فترة الحماية الإسبانية، وتمثلت هذه التغيرات أساسا في إعادة توطين أماكنها، إما بجوار التكنات التي كانت تابعة للقوات الإسبانية، أو بالاحتفاظ بأماكن بعضها وإنشاء التكنات بجوارها (الخريطة 2). هذا بالإضافة إلى تغيير شكلها الذي انتقل من شبه بدائي إلى عصري، مما انعكس إيجابا على رواجها التجاري.

يوجد بمجال الدراسة 12 سوقا أسبوعية، منها 9 أسواق حُولت أماكنها بنقلها في الغالب من أماكن مرتفعة إلى أماكن منبسطة أو شبه منبسطة حيث تقع التكنات العسكرية، الشيء الذي يكشف عن أن اختيار مواقعها كان اختيارا استراتيجيا، راعى الشرط الأمني بُغية التحكم في القبائل المحيطة بهذه الأسواق، تفاديا لحدوث خطر التجمهر وإعلان التمرد انطلاقا من الأماكن المرتفعة المنعزلة حيث كانت تقع هذه الأسواق.

كما تم توقيف بعض من هذه الأسواق بشكل مؤقت (بني بويفرور وثلاثاء الجبل)، وإلغاء سوق واحدة (السوق المتواجدة عند قدم جبل كركر قرب ترطوطين)، ولم يسلم من هذا التحول إلا سوق واحدة وهي سوق بني شيكر التي كانت لها أهمية محلية وازنة، لذلك قامت السلطات الاستعمارية بإحداث ثكنة عسكرية بجوارها (الخريطة 2).

إن ربط التكنات العسكرية بالمحاور الطرقية، كان له انعكاس إيجابي على الإشعاع والرواج التجاري للأسواق الأسبوعية التي كانت تجاور هذه التكنات، وقد اكتست أسواق العروي والزغنان وقرية أركمان أهمية جهوية عن طريق استقطابها لتجار ولزبناء من خارج الحدود المحلية والإقليمية.

: تحويل أماكن الأسواق الأسبوعية بمجال الدراسة خلال الفترة الاستعمارية 2 الخريطة



أما في ما يخص السلع التي كانت تُعرض بهذه الأسواق، فكانت تركز بالدرجة الأولى على البضائع المحلية، خاصة تلك التي لها علاقة بالمنتجات الفلاحية ومنتجات الصناعة التقليدية، وقد كانت السوق المكان الرئيسي أو الوحيد لوجود عدد من المهن الحرفية (الخطاطة والحلاقة وتصنيع الأسنان وإصلاح الأجهزة الإلكترونية والميكانيك الخ)، هذا بالإضافة إلى الأهمية التي كانت تلعبها السلع والبضائع المهربة من جيب مليلية المحتل في الرواج التجاري لهذه الأسواق؛ مما جعلها متميزة عن مجموعة من الأسواق الوطنية على مستوى طبيعة السلع المعروضة بها (مقابلات شفوية مع كبار السن، 2014-2015).

6.1. خلق دينامية تجارية بالنوى العمرانية المؤسسة من طرف المستعمر

في إطار التحديث الاقتصادي عرفت المراكز العمرانية التي أسستها السلطات الاستعمارية الإسبانية دينامية تجارية مهمة تجسدت في بروز محلات تجارية، كانت تقوم بتبادل وتوزيع المواد الأساسية سواء الغذائية منها أو غيرها، والتي كان مصدرها الأساس جيب مليلية المحتل، فمثلا بمدينة الناظور، كان هناك العديد من هذه المحلات موزعة بين تلك التي كانت موجودة بسوق الناظور القديم (الصورة 5)، وأخرى موجودة بالمكان الذي يسمى اليوم بالقيسارية، هذا علاوة على عدد منها كانت مشتتة. أما بالمراكز العمرانية الأخرى فكانت تحتوي في قلبها على عدد من هذه المحلات، التي كانت في ملكية المعمرين الإسبان حيث ما زال أثر بعضها موجودا ليومنا هذا (الصورة 6).

الصورة 5: السوق القديم بمدينة الناظور خلال فترة الحماية
الصورة 6: محلات تجارية بمركز العروي ترجع لفترة الحماية



المصدر: تصوير بلال بوجي (26 أبريل 2016)



المصدر:

Page facebook: fb.com/nadorzaman

في الحقيقة لعبت هذه المحلات دورا مهما في تحريك عجلة الاقتصاد المحلي خلال الفترة الاستعمارية، التي عززت النشاط التجاري إلى جانب الأهمية التي كانت تكتسبها الأسواق الأسبوعية، وإن كانت مردوديتها تسجل لفائدة المعمرين الإسبان، باعتبارهم الأكثر استفادة منها سواء على مستوى الأرباح المجناة منها أو على مستوى الاستهلاك. ومن ناحية ثانية، شكلت الانطلاقة الأولى لبروز تجارة عصرية من هذا النوع؛ بحيث كان التبادل التجاري يتم في الغالب بطرق تقليدية مبنية على المقايضة.

2. بعد استقلال المغرب وإلى غاية بداية الألفية الثالثة: تعزيز أهمية الأنشطة الاقتصادية التي ظهرت خلال الفترة الاستعمارية

لقد حرصت الدولة المغربية بعد الاستقلال على المضي قدما لتطوير الاقتصاد المحلي لمجال الدراسة؛ وذلك بنهج أسلوبين، الأول تمثل في الحفاظ على أهمية الأنشطة الاقتصادية التي برزت خلال الفترة الاستعمارية، والثاني تجلى في إحداث أنشطة اقتصادية جديدة.

1.2. تأميم قطاع المناجم

بعد حصول المغرب على الاستقلال، قامت الدولة المغربية بتأميم مناجم إكسان (1967)، فتحول الاستغلال من يد "الشركة الإسبانية لاستغلال مناجم الريف"، إلى "شركة استغلال مناجم الريف" المغربية المعروفة بـ "سفريرف" (SEFERIF)، وتم -نسبيا- تجديد أسطول السكة الحديدية وإضافة بعض الوحدات الصناعية، وخاصة معمل تكوير معدن الحديد بمنطقة سيطلولازار (SETOLAZAR)، كما تم إنشاء مركب للحديد والصلب سنة 1974 (SONASID) بالمنطقة الواقعة بين سلوان والعروي، والذي كان الهدف من إنشائه تحويل خامات حديد هذه المناجم، إلا أنه لم يتحقق ذلك بفعل بعض الإكراهات، هذا علاوة على إنجاز ميناء الناظور-بني أنصار سنة 1982 الذي حل محل ميناء مليلية المحتلة لتصدير خامات حديد هذه الشركة.

وعلى الرغم من ذلك، لم تستطع شركة "سفريرف" مواكبة الاستغلال الجيد لهذه المناجم على عكس الشركة الإسبانية، ويظهر ذلك من خلال تراجع إنتاجها في بداية السبعينات الذي لم يتجاوز المليون طن، بعدما كان في أواخر الستينات يفوق هذه الكمية، ثم انخفض في سنة 1984 إلى 200 000 طن (SDAU de Nador 1985-2005, B. 20)، ليتوقف نشاط الشركة بشكل نهائي أواخر التسعينات (1998).

ولقد كان لتوقف هذا النشاط تداعيات سلبية على المنطقة المحلية، حيث فقدت وظيفتها المنجمية التي كانت سببا رئيسيا في الدينامية التي شهدتها منذ بداية القرن الماضي، وذلك عبر نسج العديد من العلاقات الترابية بين مكان وجود هذه المناجم والمناطق المحيطة بها، ولا سيما مدينة الناظور التي كانت تلعب دور المهيكل الرئيسي لاستغلال هذه المناجم. ومن جهة ثانية، كان لهذا التوقف انعكاسات مباشرة على ارتفاع نسبة البطالة؛ إذ منذ شروع الشركة المغربية في استغلال هذه المناجم وعدد العمال في تناقص مستمر، حتى تم تسريح آخر فوج في أواخر التسعينات الذي كان يقدر بـ 200 1 عامل (نبيل حسن، مرجع سابق). وجدير بالذكر أن هذا الوضع ينطبق على العديد من المواقع المنجمية الوطنية، ولا سيما بالمغرب الشرقي، حيث وقع الأمر نفسه بمناجم جريدة التي استطاعت جذب السكان من مختلف المناطق الوطنية، فتشكلت ونمت بشكل مفاجئ حتى أصبحت في مرتبة مدينة متوسطة في سنة 1983 (43 000 نسمة)، إلا أنها لم تتمكن من تثبيت ساكنتها بعد توقف نشاط المناجم بها (ESSADEK A., 1986, 327 et 339).

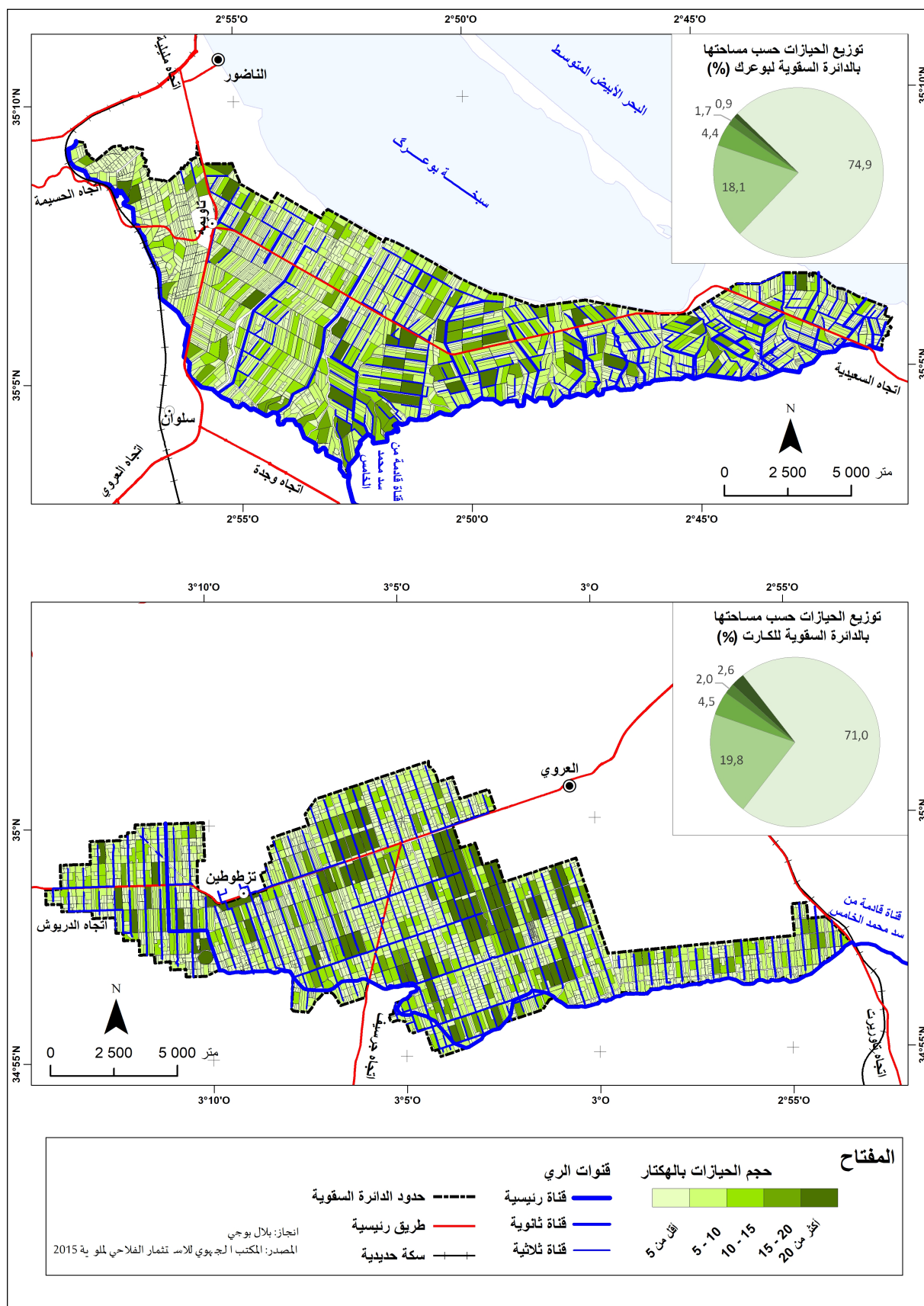
ومن أجل تعزيز الأهمية الاقتصادية لهذه المنطقة بصفة خاصة، وللناطق المحيطة بها والقريبة منها بصفة عامة، هناك في الوقت الحالي العديد من فعاليات المجتمع المدني (جمعيات ونقابات وأحزاب سياسية)، تدعو إلى إعادة تشغيل هذه المناجم، خاصة وأن بعض الدراسات التقنية أكدت أن هذه المناجم ما زالت تتوفر على احتياطي مهم من خامات الحديد، يقدر بـ 35 مليون طن، وهي كمية تقارب الكمية التي تم استخراجها وتصديرها نحو الخارج في مدة 53 سنة (نبيل حسن، مرجع سابق).

2.2. تعزيز الوظيفة الفلاحية ببوعرگ والغارت بفضل التهيئة الهيدروزرارية وسياسة استصلاح الأراضي

بدأت تشهد أجزاء واسعة من أراضي سهلي بوعرگ والغارت وجزء صغير من سهل گرت، مع مطلع السبعينات من القرن الماضي تحولات مهمة، تجلت في بروز فلاحية عصرية نتيجة مدها بمياه الري المتجمعة بسد محمد الخامس، وقد بلغت المساحة المسقية بسهل بوعرگ (الدائرة السقوية) في سنة 1974 -أي بعد الانتهاء من أشغال التجهيزات الهيدروزرارية- 11 054 هـ (38,4% من مجموع أراضي السهل)، كما وصلت بسهل الغارت بعد الانتهاء من إنجاز هذه التجهيزات (في سنة 1988) إلى 11 493 هـ (38,1%).

ترتبط الدائرتان السقويتان ببوعرگ والغارت بسد مشرع حمادي بواسطة قناة رئيسية منطلقة من هذا السد باتجاه دائرة صبرة، والتي يبلغ طولها 30 كلم، منها 12 كلم موجودة تحت الأرض يصل صبيبها إلى 17 م³/ث، وتتفرع هذه القناة إلى قناتين رئيسيتين: الأولى تتجه نحو سهل بوعرگ بصبيب 12 م³/ث على طول مسافة 16,5 كلم، منها 9 كلم تحت الأرض، والتي تنقسم بدورها إلى قناتين: تحيط القناة الأولى بالدائرة السقوية لبوعرگ من الناحية الشرقية، وتحيط بها الثانية من الناحية الغربية. أما القناة الثانية المتفرعة عن قناة صبرة، فتتجه صوب سهل الغارت على طول مسافة 44 كلم وبصبيب 5 م³/ث (المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي لمولوية، قسم التجهيزات 2017) (الخريطة 3).

الخريطة 3: توزيع قنوات الري الرئيسية وحجم الحيازات الفلاحية بالدائرتين السقيويتين بوعرگ والغارت في سنة 2015



وأما على مستوى الدائرتين السقييتين، فهناك العديد من القنوات الثانوية (62 كلم ببوعرگ و 161 كلم بالگارت) والثلاثية (233 كلم ببوعرگ و 147 كلم بالگارت)، التي تقوم بوظيفة توزيع المياه وإيصالها إلى أطراف هاتين الدائرتين (الخريطة 3).

وهناك أيضا العديد من القنوات الصغرى لتصرف المياه نحو المشاور، ليتم بعد ذلك استعمال مختلف أساليب الري؛ بحيث ينتشر بدائرة ببوعرگ استعمال السقي الانجذابي بنسبة 86,2% (778 هـ)، ثم الري بالتنقيط الذي يمثل 13,8% (1 400 هـ)، فيما يكثر استعمال الري بالرش بدائرة الگارت الذي يعادل 91,1% (12 300 هـ)، والري بالتنقيط 8,9% (1 200 هـ) (المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي لمولوية، منوغرافية 2015).

الجدول 1: تطور حجم الحيازات الفلاحية بالدائرتين السقييتين لبوعرگ والگارت لسنوات 1964 و 1989 و 2015

الدائرة السقوية للڭارت						الدائرة السقوية لبوعرڭ						مساحة الحيازة الفلاحية بالهكتار
2015		1996		1985		2015		1996		1964		
عدد الاستغلاتيات	المساحة بالهكتار	عدد الاستغلاتيات	المساحة بالهكتار	عدد الاستغلاتيات	المساحة بالهكتار	عدد الاستغلاتيات	المساحة بالهكتار	عدد الاستغلاتيات	المساحة بالهكتار	عدد الاستغلاتيات	المساحة بالهكتار	
2091	4765	1243	2672	2412	5746	2338	4547	307	3237	3256	5944	
778	6787	668	5964	623	3883	756	6425	1276	6519	578	3977	
77	77	61	3674	16	1854	27	713	84	1925	33	1435	
2946	11629	1972	12310	3051	11483	3121	11685	1667	11681	3867	11356	

المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي لمولوية (بركان)

عرفت الاستغلاليات الصغرى (أقل من 5 هـ) تراجعاً مهماً من حيث مساحتها الإجمالية وكذا من حيث عددها، بين سنتي 1970 و 1996 بالدائرة السقوية لبوعرگ، وبين 1985 و 1996 للدائرة السقوية الگارت؛ أي قبل وبعد مد أراضي السهلين بمياه الري، وذلك لفائدة الاستغلاليات المتوسطة (ما بين 5 و 20 هـ)، ونسبياً للاستغلاليات الكبرى (أكثر من 20 هـ)، إلا أنه في السنوات الأخيرة بدأت تشهد هذه الاستغلاليات تجزؤاً من جديد، كما يظهر ذلك من خلال العمود الخاص بسنة 2015 في الجدول (6)؛ بحيث عرفت مساحة عدد الاستغلاليات الصغرى ارتفاعاً من جديد، ومرد ذلك إلى عامل الإرث الذي أصبح يهدف استدامة الإنتاج الفلاحي العصري بهاتين الدائرتين، خاصة في ظل وجود مشكل النقص المائي الذي بات يواجه أراضي الدائرتين، زد على ذلك مشكل المضاربة العقارية الذي يهدف أراضي هذه الدوائر بالزحف العمراني (بوجي بلال وآخرون، 2019).

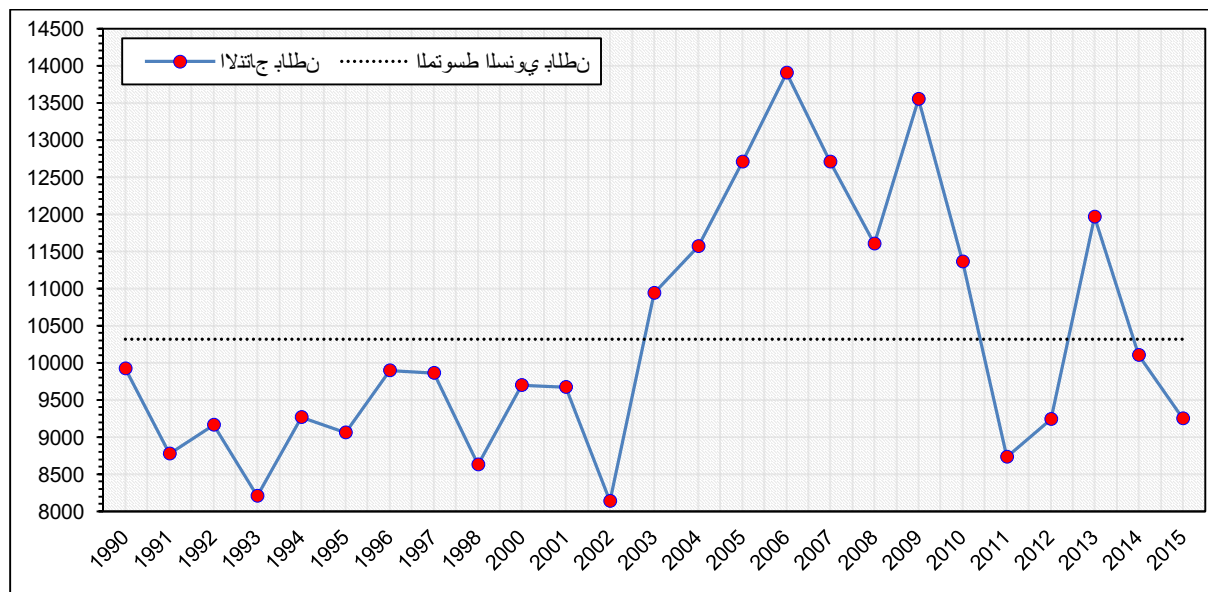
إلى جانب هذه التدخلات التي استهدفت تجميع الأراضي، وتكثيف استعمال المواد العضوية الطبيعية أو الاصطناعية بهدف زيادة تخصيب التربة، تم خلق 5 مراكز جهوية للاستثمار الفلاحي (121 و 123 و 125 بدائرة ببوعرگ، و 122 و 126 بدائرة الگارت) التي تلعب دوراً مهماً في عصرنة الفلاحة، سواء تعلق الأمر بتأطير الفلاحين، أو تقديم البذور والأصناف النباتية المختارة، أو التدخل من أجل توزيع مياه الري حسب العرض الموجود والحاجيات المطلوبة.

3.2. تدعيم أنشطة القطاع الأول من خلال إحداث ميناء عصري للصيد البحري ببني أنصار

لقد كان للبنى التحتية وللأسطول البحري الذي استفاد منه ميناء بني أنصار منذ إحداثه (1978)، وقع إيجابي على تطور الإنتاج السمكي بهذا الميناء، وإن لم يرق بعد إلى منافسة العديد من الموانئ الوطنية، ولا سيما الأطلنطية التي تتمتع بأساطيل متطورة، تتكون من وحدات للصيد في أعالي البحار إلى جانب ارتفاع عدد وحدات الصيد الساحلي والقوارب التقليدية.

يشغل الرصيف الخاص بالصيد البحري بميناء الناظور-بني أنصار مساحة 10 هـ، أي ما يمثل 7% من المساحة الإجمالية للميناء (143 هـ)، فبالإضافة إلى البنى التحتية التي كان يتوفر عليها منذ إحداثه، استفاد في سنة 2002 من أشغال التوسعة وإعادة التهيئة، وذلك في إطار ورش تدعيم الموانئ الوطنية ببني تحتية ذات قدرة على المنافسة الخارجية.

الشكل 2: التطور السنوي للإنتاج السمكي بميناء بني أنصار ما بين 1990 و2015



المصدر: مندوبية الصيد البحري بالناظور (بني أنصار)

ينتج ميناء بني أنصار كميات مهمة من السمك التي تُدر معدلها السنوي خلال الفترة الممتدة بين 1990 و2015 بـ 10 314 طن (الشكل 2)، وقد شهدت هذه الكميات تذبذبات واضحة من سنة لأخرى؛ إذ تراوحت بين 8 135 طن كأصغر كمية سنة 2002، و13 900 طن كأكبر كمية سنة 2006.

يتبين من خلال التمعن في المعطيات الواردة في الشكل (2) أن الإنتاج السمكي شهد على العموم بعد سنة 2002 تصاعدا في كمياته، وهذا راجع إلى أشغال إعادة التهيئة وتحديث الأسطول الذي استفاد منه ميناء الصيد البحري ببني أنصار سنة 2003.

ومن أجل إظهار الأهمية الاقتصادية لهذا الميناء، يمكن مقارنة إنتاجه السمكي الخاص بالصيد الساحلي والتقليدي، بنفس إنتاجات إجمالي الموانئ الوطنية (61 ميناء)، وكذا الموانئ المتوسطية (10 موانئ)، إذ بهذا الخصوص وصل الإنتاج الوطني 894 185 طن في سنة 2015؛ مما يعني أن إنتاج ميناء بني أنصار مثل نسبة 1% (9 251 طن)، أما على مستوى الموانئ المتوسطية (26 334 طن) فاحتل المرتبة الأولى؛ حيث عادل إنتاجه 35,1%، أي ما يفوق ثلث الإنتاج المتوسطي (MAPMDREF, 2017). بفضل هذا إذن، يعتبر ميناء بني أنصار الممون الأساسي للسوق المحلية للمغرب الشرقي، كما يواجه قسم من إنتاجه نحو السوق الوطنية، ولا سيما للمناطق القريبة الواقعة وسط المغرب.

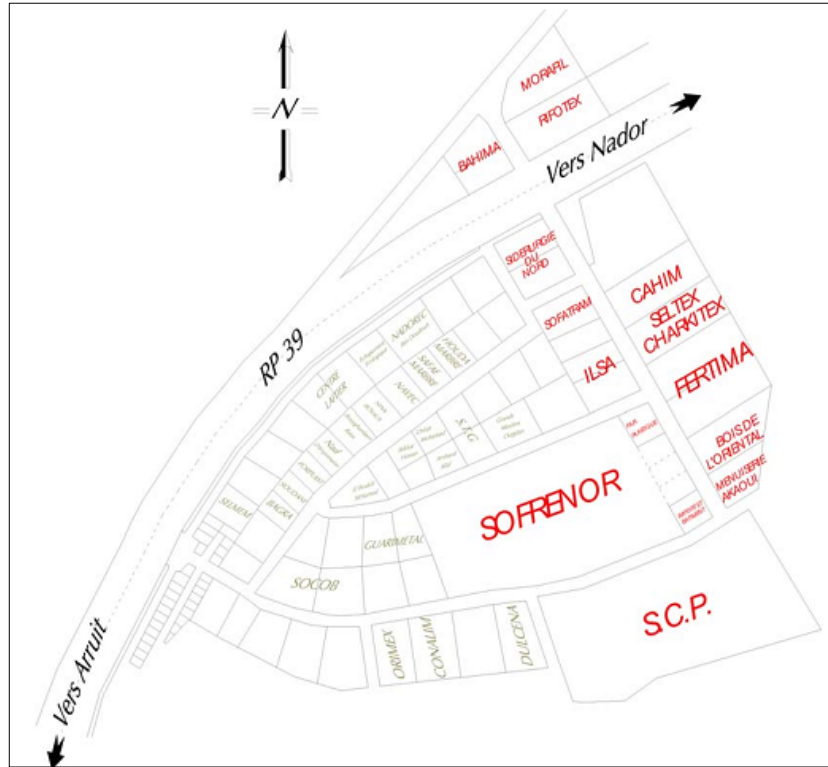
ويتوزع الإنتاج السمكي بميناء بني أنصار على مجموعة من الأصناف، وقد تبين حسب إحصائيات سنة 2015 (Délégation des pêches maritime de Nador, 2015, 3)، أن الرخويات (Céphalopodes) تمثل النوع المهيمن على باقي الأنواع الأخرى بإنتاج وصل 5 366 طن (58%)، يليه نوع السمك السطحي (Poisson pélagique) بإنتاج 2 062 طن (22,3%)، ثم السمك الأبيض (Poisson blanc) بإنتاج 1 666 طن (17,9%)، وأخيرا القشريات (Crustacés) بإنتاج لم يتجاوز 162 طن (1,7%).

4.2. الاستثمار في القطاع الثاني من خلال إنشاء مركب للحديد والصلب وإحداث وحدات إنتاجية أخرى بسلوان

لقد تم إنجاز مركب للحديد والصلب بالمنطقة الواقعة بين سلوان والناصور في سنة 1974، وهو يعد من أهم الوحدات الصناعية بمجال الدراسة، كما يعتبر من الشركات الوطنية الكبرى، ولقد بدأ عمله الفعلي في سنة 1984؛ حيث يمكن اعتباره المحفز الرئيسي لإنشاء وحدات صناعية أخرى بجواره في ما تلي من السنوات.

عند بداية اشتغال هذا المركب كانت تصل قيمة إنتاجيته السنوية 42 مليون طن، فيما ارتفع إنتاجه خلال سنوات 2000 و2004 و2010 و2014 و2016 على التوالي إلى 57,8 و78,0 و96,8 و93,1 و90,8 مليون طن (En ligne: www.sonasid.ma). بحيث تُصرف منتجاته نحو السوق الوطنية كما الخارجية.

الشكل 3: تصميم المنطقة الصناعية بسلوان



المصدر: CCIS Nador (2012), Monographie économique, p. 33

مع مطلع الثمانينات من القرن الماضي، تم إطلاق البرنامج الوطني لتهيئة المناطق الصناعية (PNAZI) الذي أسست في إطاره المنطقة الصناعية بمركز سلوان على مساحة 96 هـ، الواقعة على جنبات الطريق الإقليمية (39) باتجاه مركز العروي (الشكل 3)، وقد أنجزت عبر أربعة أشطر، حيث تم إنشاء الشطر الأول في سنة 1986، والشطرين الثاني والثالث في سنة 1994، أما الشطر الرابع فقد انطلق في سنة 2013.

هذا بالإضافة إلى الوحدات الصناعية الموجودة بالمنطقة الصناعية التابعة لميناء بني أنصار التي يصل عددها إلى 15 وحدة، موزعة على مساحة 16 هـ؛ إذ تقوم معظمها بالأنشطة التي لها علاقة بصناعة الصيد، كما توجد بعض الوحدات الصناعية الأخرى داخل النفوذ الترابي لجماعة أولاد ستوت، المتوطنة على جنبات الطريق الرابطة بين الناضور ووجدة (وطنية 2)، أغلبها متخصصة في إنتاج الطوب (الياجور).

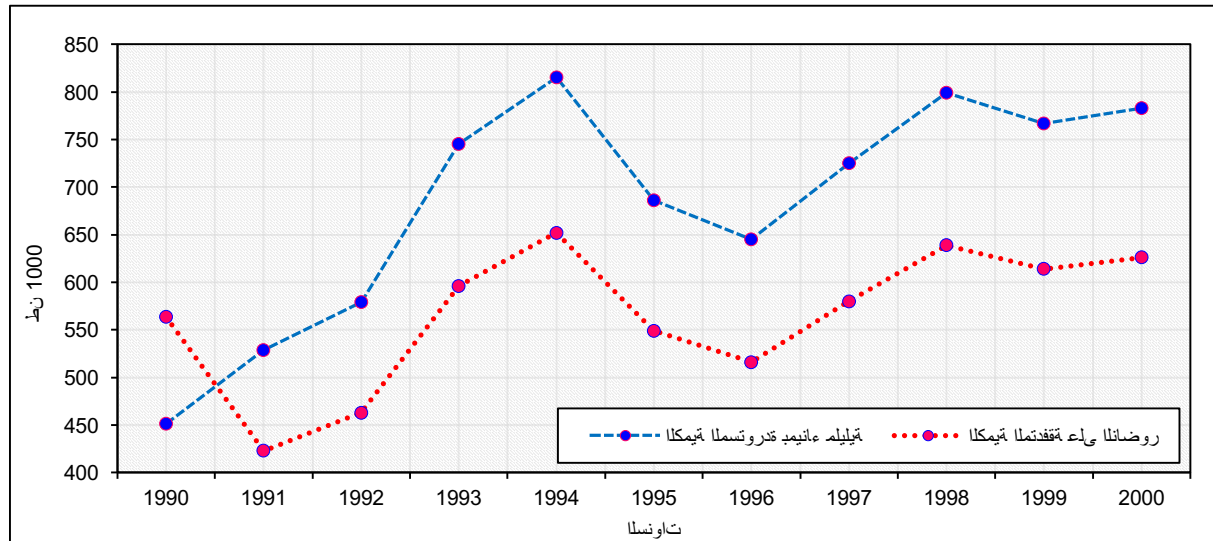
من هنا يتبين أن معظم الوحدات الصناعية الموجودة بإقليم الناضور متمركزة بمجال الدراسة (توجد به 174 وحدة من أصل 177 وحدة)، وخاصة المنطقة الصناعية بسلوان التي تهيمن على ما يفوق ثلاثة أرباع من هذه الوحدات، وتمثل الصناعتان الكيماوية (61 وحدة) والغذائية (60 وحدة) أكبر نسبة (68,3%) من مجموع الصناعات الموجودة، تليها الصناعة الميكانيكية والمعدنية (46 وحدة) بـ 26%، والنسيج والجلد (8 وحدة) بـ 4,5%، وأخيرا الصناعة الكهربائية (وحدتان) بـ 1,1% (CCIS Nador, 2012, p. 64). في الواقع، سمح هذا العدد المهم من الوحدات الصناعية من احتلال مكانة مرموقة على مستوى المغرب الشرقي؛ إذ تمثل نسبته 43,2% من إجمالي الوحدات الموجودة بجهة الشرق، و3,8% من مجموع الوحدات الوطنية.

ومن جهة أخرى، أصبح مجال الدراسة يحتل المرتبة الأولى جهويا من حيث الإنتاج الصناعي الذي بلغت كميته 4 234 954 طن سنة 2013 (من أصل 8 864 696 طن لجهة الشرق؛ أي ما يعادل 47,8%)، أما من حيث رقم المعاملات فقد سجل 4 775 488 مليون درهم (من إجمالي 10 064 000 م. د لجهة الشرق؛ أي ما يمثل 47,5%). كما يحتل مكانة مهمة على مستوى بعض المؤشرات الصناعية الأخرى، فهو يصنف في المرتبة الثانية جهويا من حيث عدد المستخدمين وحجم الاستثمارات، حيث بلغ به عدد المستخدمين الصناعيين 3 613 مستخدم (12 015 لجهة الشرق ما يمثل 30%)، واستثمارات صناعية بقيمة 74 450 مليون درهم (257 408 للشرق ما يعادل 28,9%)، أما الصادرات الصناعية فقد بلغ حجمها 50 377 طن، لتمثل بذلك 1,2% من مجموع الإنتاج الصناعي لإقليم الناظور، وتحتل المرتبة الثالثة جهويا بعد إقليمي جرسيف وتاوريرت (المندوبية السامية للتخطيط، - المديرية الجهوية لجهة الشرق، 2016، ص. 57).

5.2. ازدهار نشاط التهريب المعيشي مع جيب مليلية المحتل وانتعاش النشاط التجاري بالمنطقة

تم إحداث ميناء حر (Port franc) بجيب مليلية المحتل سنة 1863، فكان أول منفذ بحري بالريفين الشرقي والأوسط، كما أصدرت إسبانيا في سنة 1955 قانونا للنظام الاقتصادي والمالي، يتضمن إعفاءات الرسوم الجمركية وضرائب أخرى على السلع المستوردة بهذا الميناء (BERRIANE M. et HOPFINGER H., 1999, p. 105)، فكان لذلك انعكاسات جلية على كمية السلع المستوردة، وكذا على السلع المهربة نحو الناظور.

الشكل 4: تطور كمية السلع المستوردة بميناء مليلية والمتدفقة على الناظور⁽¹⁾ بين 1990 و2000⁽²⁾



المصدر: Chambre du commerce du préside de Melilla (2003):
Rapporté par Naji O. (2005), op. cit., p. 76

تتدفق على هذا الميناء كميات مهمة من السلع التي بلغ حجمها 815 000 طن كأقصى كمية في سنة 1994، ولم تنزل عن كمية 451 000 طن على مدار 10 سنوات (1990-2000). وعلى الجانب الآخر، يتم تهريب حجم مهم من هذه السلع صوب الناظور التي بلغ متوسط نسبتها من إجمالي السلع المستوردة خلال المدة المذكورة 84,1%؛ وبتعبير آخر فإن مليلية المحتلة لم تستهلك خلال هذه المدة سوى 15,9% من السلع المستوردة عبر مينائها (الشكل 4).

كان للتطور المهم الذي شهده تدفق السلع المهربة من جيب مليلية المحتل بعد الخمسينيات من القرن الماضي، انعكاس كبير على الاقتصاد المحلي عموما وعلى النشاط التجاري خصوصا؛ بحيث تم إحداث بنى تحتية تجارية كبرى بمدينة الناظور منذ الثمانينيات، استطاعت استيعاب المواد المهربة نحوها.

⁽¹⁾ نلاحظ من الشكل، أن كمية السلع المهربة نحو مدينة الناظور في سنة 1990 تفوق الكمية المستوردة، وذلك راجع إلى وجود سلع مخزنة بمليلية قبل هذه السنة.

⁽²⁾ قمنا بمحاولات للحصول على معطيات جديدة في هذا الموضوع عبر تقديم طلب معطيات لإدارة المديرية الجهوية للجمارك بالناظور، إلا أنه قُبل بالرفض بدعوى عدم التوفر على مثل هذه المعطيات.

: توزيع البنى التحتية التجارية الكبرى بمدينة الناظور حسب بعض مميزاتا في سنة 2015/الجدول

الاسم المكان التجاري	تاريخ الإحداث	الملكية	عدد المحلات التجارية	المساحة المتوسطة للمحل (م ²)	الثلث المتوسط لشراء المحل	الثلث المتوسط لكراء المحل (بالدعم/الشهر)
المركب التجاري البلدي	1986	بلدية	427	12	--	250-350
سوق أولاد ميمون	1987	بلدية	840	12	--	125
المركب التجاري المغرب الكبير ⁽¹⁾	1994	خاص	860	10	300 000	2000
جوطية أولاد بوطيب	1999	بلدية	1000	--	--	--
ملحق المركب التجاري البلدي	2013	بلدية	75	--	--	--

المصدر: غرفة التجارة والصناعة والخدمات بالناظور (2015)

تكتسي مدينة الناظور أهمية تجارية كبرى ضمن محيطها الجغرافي المحلي والجهوي وكذا الوطني على المستوى؛ بحيث تحتضن عددا مهما من الوحدات التجارية لا سيما الكبرى منها، التي لها علاقة مباشرة باستقبال السلع المهربة من مليية المحتلة. في الحقيقة، بلغ عدد المحلات التجارية التي تضمها كبريات المراكز التجارية في سنة 2015، ما يقدر بـ 342 محل (2015, CCIS Nador)؛ دون احتساب المحلات التي كان يضمها المركب التجاري المغرب الكبير (Super marché)، هذا بالإضافة إلى مجموعة من المحلات التجارية الأخرى المنتشرة بمختلف أنحاء المدينة.

تعتبر الملابس والأحذية (الجديدة والمستعملة) والنسيج والثوب ولوازم ممارسة الرياضة (الألبسة والأحذية الرياضية بالخصوص)، السلع الأكثر انتشارا بمحلات أسواق المركب التجاري وأولاد ميمون والمغرب الكبير؛ إذ تهيمن لوحدها على 62,3% من مجموع السلع المعروضة بها (2000, CCIS Nador)، وقد عرفت هذه الأسواق في الوقت الحالي خاصة المركب التجاري، تطورا مهما من حيث السلع المعروضة بها، خاصة ما يتعلق ببيع الأجهزة الإلكترونية الشخصية (الهواتف النقالة والحواسيب)، هذا بالإضافة إلى الأهمية التي تحتلها سوق الجوطية، المتخصصة أساسا في عرض الألبسة والأحذية المستعملة، حيث استقبلت عددا كبيرا من تجار سوق المغرب الكبير التي نشبت بها الحريق سنة 2014.

إن تمركز السلع والبضائع المهربة بالأماكن التجارية الكبرى الموجودة بمدينة الناظور، جعلها تسجل أرقام معاملات مالية مهمة جدا، فقد بلغ مجموعها التقريبي 97 480 مليون درهم في سنة 2000، وتعتبر سوق أولاد ميمون الأهم من حيث قيمة هذه المعاملات التي بلغت 42 605 م. د. (45%)، متبوعة بالمركب التجاري البلدي وسوق المغرب الكبير وسوق الجوطية؛ بحيث حققت على التوالي قيم 25 280 (26,7%) و 8 850 (9,3%) و 42 200 م. د. (4,5%)، أما بخصوص القيمة المتبقية (13 855 م. د. أي ما يمثل 14,6%) فتتقاسمها باقي الأماكن التجارية الأخرى. (DAE, rapporté par NAJI, 2005, 74)

من هنا، تظهر الأهمية الاقتصادية التي تكتسيها المركبات التجارية المحدثّة بمدينة الناظور، سواء على مستوى توفير مناصب الشغل لعدد كبير من الأفراد، أو على مستوى قيمة معاملاتها التجارية، إلا أنه رغم ذلك يبقى هذا القطاع في معظمه غير مهيكّل، مما يحرم المنطقة من الاستفادة من اقتصاد مستدام.

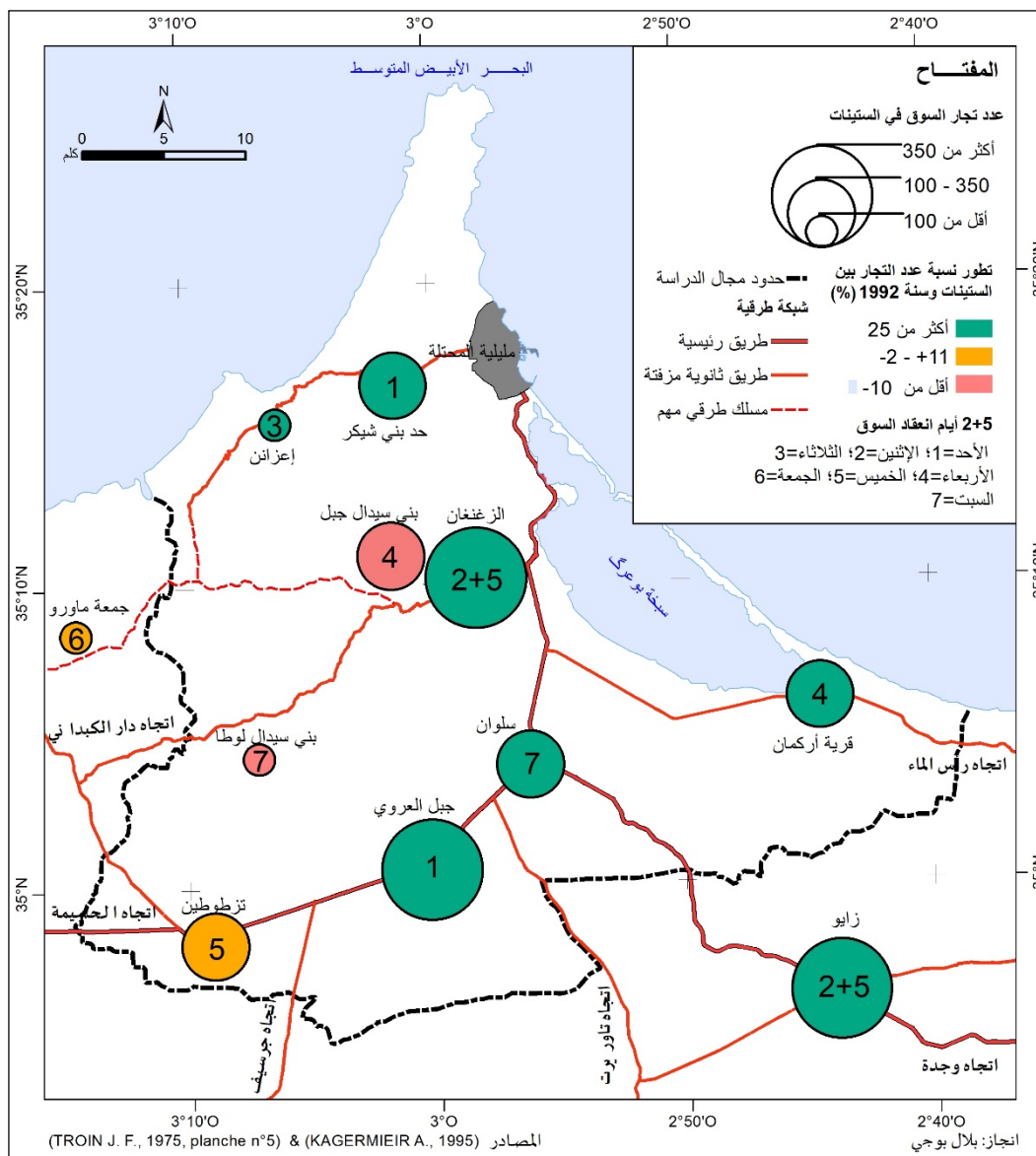
6.2. ازدياد أهمية الرواج التجاري للأسواق الأسبوعية

لعبت الأسواق الأسبوعية خلال الفترة الاستعمارية دورا محوريا في دينامية القطاع التجاري، إلا أن أهميتها الكبرى برزت بعد استقلال البلاد؛ حيث لم يقتصر دورها على تحريك الاقتصاد المحلي، بل تعداه ليشمل تنظيم المجال المحيط بها،

⁽¹⁾ تم بناء هذه السوق من طرف أحد العمال المهاجرين المقيمين بأوربا. وقد نشبت بها حريق سنة 2014؛ فتم هدمها وإعادة بنائها من طرف بلدية الناظور وشركاء آخرين (ما زالت في طور البناء).

ومرد ذلك إلى التحول الذي شهدته على مستوى بنيتها التجارية، خاصة ما يرتبط بارتفاع حجم السلع والخدمات المعروضة بها، وكذا ارتفاع عدد تجارها وزبائنها.

تطور عدد تجار الأسواق الأسبوعية بمجال الدراسة بين الستينات وسنة 1992 الخريطة



عرفت الأسواق الأسبوعية تطورا مهما في حجمها بين سنوات الستينات وبداية التسعينات (1992)؛ إذ ازداد عدد تجار كل من أسواق العروي والزغنان وسلوان وقرية أركمان وحد بني شيكر وإعزانن بـ 25%، أما أسواق تظوطين وجمعة ماورو فتطورت بنسبة تراوحت بين 11% و-2%، في حين شهدت أسواق ثلاثاء لوطا وثلاثاء الجبل تراجعا سلبيا بلغ -10% (الخريطة 4).

على أساس ذلك، برزت في بداية التسعينات أسواق بأحجام جديدة ومتباينة⁽¹⁾. تصنف بين أسواق كبرى يفوق عدد تجارها 600 تاجر (العروي والزغنان)، وأسواق متوسطة ينحصر عدد تجارها ما بين 350 و600 تاجر (سلوان وقرية أركمان)، وأسواق صغيرة يتراوح عدد تجارها ما بين 100 و350 تاجر (حد بني شيكر وتظوطين وإعزانن)، ثم أسواق صغيرة جدا يقل عدد تجارها عن 100 تاجر (جمعة ماورو وثلاثاء الجبل وثلاثاء لوطا). كان لهذا التطور انعكاسات إيجابية

⁽¹⁾ تم الاعتماد على التصنيف الذي وضعه TROIN J. F. (1974)، الذي ورد في مؤلفه "الأسواق المغربية" (بالفرنسية)، ص. 136

على مداخل الجماعات الترابية التي تضاعفت ثلاث مرات ما بين 1981 و1992، بانتقالها من ما يناهز 2 إلى 6 ملايين درهم (لكل الأسواق المنتمية لإقليم الناظور السابق) (3, KAGERMIER A. et MURICH, 1993).

من هنا يبرز الدور المهم الذي لعبته الأسواق الأسبوعية في تنظيم المجال؛ حيث استطاعت أن تفرض نفوذها التجاري على مجموعة من المناطق المحيطة بها خلال العقود الأربعة الأولى التي تلت الاستقلال، الشيء الذي جعلها تشكل أحد العوامل الأساسية المستقطبة للاستقرار البشري، ومما زاد من أهميتها ذلك التكامل الذي تخلقه على مستوى أيام انعقادها الموزعة على طول أيام الأسبوع (الخريطة 4).

7.2. انتعاش القطاع البنكي بفضل التحويلات الخارجية ومداخل التهريب

يعتبر شمال الريف الشرقي (إقليمي الناظور والدريوش)، من أهم المناطق الوطنية من حيث عدد المؤسسات البنكية، حيث وصل معدل كثافتها في سنة 2012 مؤسسة واحدة لكل 025 4 ساكن حضري، في حين بلغ على الصعيد الوطني مؤسسة واحدة لكل 16 000 ساكن حضري (CCIS Nador, 2012, 43). وقد شهدت هذه الكثافة ترجعا بالمقارنة مع سنة 1994، حيث كان معدلها يمثل مؤسسة واحدة لكل 3 906 ساكن حضري، مقابل مؤسسة واحدة لكل 10 000 ساكن حضري على المستوى الوطني، فيما وصلت بولايات فاس والرباط والدار البيضاء على التوالي: مؤسسة واحدة لكل 12 898 و12264 و7 738 ساكن حضري (BERRIANE M. et HOPFINGER H., 1999, 163). لذلك يعد شمال الريف الشرقي منافسا ماليا حقيقيا للدار البيضاء التي تعتبر القطب المالي الرئيسي للمغرب. أما في سنة 2017 فقد بلغ عدد هذه المؤسسات بمجال الدراسة لوحده 176 مؤسسة (بنك المغرب بالناظور، 2017).

إن تمركز المؤسسات البنكية بشمال الريف الشرقي، دليل على أهمية الودائع البنكية بهذا المجال، والتي فاقت 6,6 مليار درهم في سنة 1994 (Bank al Maghrib, rapporté par BERRIANE M., 1999, 163)، و33,2 م. د في 2011، و37,3 م. د في سنة 2015، و42,2 م. د في سنة 2017 (بنك المغرب بالناظور، 2011 و2015 و2017)، بسبب ذلك فهو يتبوأ المرتبة الثانية أو الثالثة بعد الدار البيضاء والرباط من حيث حجم الودائع البنكية، كما يمثل نسبة تتراوح ما بين 5 و7% (حسب السنوات) من مجموع الودائع الوطنية.

استحوذت المؤسسات البنكية المتواجدة بمجال الدراسة على أزيد من 3 مليار درهم، أي ما يناهز النصف من مجموع الودائع البنكية بشمال الريف الشرقي التي بلغت 6,6 مليار درهم في سنة 1994، موزعة بشكل رئيسي على مدينة الناظور (1,6 م. د.)، ومراكز العروي والزغنان وبني أنصار وسلوان (1,4 م. د.)، وقد شهدت تصاعدا مهما بحيث أصبحت تمثل 70,2% من مجموع الودائع بإقليمي الناظور والدريوش في سنة 2017، مع هيمنة مدينة الناظور على القسط الأكبر منها (20,3 م. د.)، ما يعادل 68,6%، تليها على التوالي: مراكز العروي والزغنان وبني أنصار وسلوان وقرية أركمان وبني شيكر وقرطاجنة، بقيمة إجمالية بلغت 9,3 م. د. و31,4% (Bank al Maghrib, 1994 et 2017).

بفضل أهمية هذه الشبكة البنكية أصبح مجال الدراسة أحد الأقطاب المالية الوطنية الهامة، كما ساهم التوزيع المجالي المتفرق -نسبيا- للمؤسسات، والودائع البنكية في الرقي بوظائف مدينة الناظور والمراكز المحيطة بها، ومن ثمة تدعيم استقطابيتها؛ فبالإضافة إلى ادخارات المهاجرين المقيمين بمدينة الناظور، استقطبت هذه المدينة العمال المهاجرين المستقرين بالبوادي، للاستفادة من خدماتها البنكية، زد على ذلك ادخارات التجارة غير القانونية.

إلا أنه لم تكن هناك حكمة لتدبير هذه الموارد، الأمر الذي كان سيرفع من مكانة الاقتصاد المحلي المهيكّل (بوجي بلال، 2017)، كما أن هذه الشبكة قد لا تستمر أهميتها، لكون مغذيتها الرئيسي المتمثل في عائدات الهجرة الدولية، بدأت تتراجع مساهمته بعدما بدأت صلة الأجيال الجديدة من المهاجرين تضعف ببلدها الأم، الشيء الذي يتطلب إدراج هذا المشكل في استراتيجية التنمية الترابية، حتى يتم إعادة تقوية هذه الصلة بالموطن الأصلي ومن ثم الاستفادة أكثر من العائدات الخارجية (AZZI H., 2016, 112-113).

8.2. أنشطة سياحية شاطئية موسمية محتشمة

تتمثل أبرز البنى التحتية السياحية التي كانت موجودة قبل برنامج تهيئة بحيرة "مارتشيك"، في التهيئة المتواضعة لكورنيش الناظور، والوحدة الفندقية (فندق الريف أربعة نجوم) المحدث على ساحل سبخة بوعرگ، وبعض الوحدات الفندقية الأخرى الموجودة وسط المدينة، كما تم تجهيز شاطئ أركمان ببعض البنى التحتية السياحية التي لم تستطع أن تخلق سوى

أنشطة سياحية شاطئية موسمية (فصل الصيف)؛ ما يعني أن آثارها الاقتصادية كانت محدودة سواء على المجلس الجماعي أو الأفراد.

3. بداية الألفية الثالثة: إعطاء أولوية لأنشطة اقتصادية جديدة من شأنها تقوية انفتاح المنطقة على العالم الخارجي

تحاول السلطات العمومية منذ بداية الألفية الثالثة التدخل لتوجيه الاقتصاد المحلي لمجال الدراسة، ليكون اقتصادا أكثر صلابة وأكثر انفتاحا على الخارج، وذلك من خلال التركيز على إحداث مشاريع اقتصادية مهيكلية.

1.3. إعطاء اهتمام أوسع للقطاع الثاني من خلال إحداث حاضرة صناعية بسلوان والسعي لسن مجموعة من الإجراءات لفائدة تقويته

سعى لدعم التنافسية الخارجية للمغرب الشرقي بصفة عامة، ولمجال الدراسة بصفة خاصة، تم إطلاق ورش تنموي كبير سنة 2008، المتمثل في "برنامج التنمية الصناعية بجهة الشرق" (PDIRO) الذي يتكون من 3 مشاريع صناعية كبرى موزعة على تراب جهة الشرق⁽¹⁾، منها مشروع "القطب الصناعي لسلوان" (PIS)، الذي حددت مساحته في 72 هـ، والواقع شمال الطريق الوطنية (رقم 2) الرابطة بين الناضور وجدة (الشكل 5).

الشكل 5: تصميم مشروع القطب الصناعي بسلوان



المصدر (بصرف): Fiche technique du projet « Parc Industriel de Selouane »

يتكون مشروع المركب الصناعي لسلوان من مساحات مخصصة لأنشطة مختلفة ومتكاملة وظيفيا (الشكل 5)، منها 25 هكتارا مخصصة للأنشطة الصناعية، و7 هـ للأماكن التجارية، وهكتاران للخدمات والتكوين والبحث والتنمية والمشاتل، و24 هـ للطرق والمساحات الخضراء. وقد تم الانتهاء من إنجاز بعض الوحدات (سنة 2017)، لا سيما تلك التابعة للمنطقة التجارية المشرفة على الطريق الوطنية (2).

⁽¹⁾ بالإضافة إلى الحاضرة الصناعية بسلوان، هناك مشروع "قطب الصناعة الفلاحية ببركان"، ومشروع "القطب التكنولوجي لوجدة".

لقد شكل التجهيز الصناعي بمجال الدراسة عموماً، وبالمناطق المحيطة بمدينة الناظور خصوصاً، إحدى التدخلات العمومية الأساسية التي استطاعت تقوية الجاذبية المجالية لهذه المناطق، مما ساهم وبشكل كبير في ديناميكتها العمرانية والسكانية منذ أواسط الثمانينات. لكن هذا لا يعني أن القطاع الصناعي بهذا المجال لا يعاني من مشاكل، فعلى سبيل المثال لا الحصر، يشكل جيب مليلية المحتل أحد العراقيل الرئيسية التي تحد من تطور هذا القطاع بفعل التدفق الكبير للمواد المصنعة عبر المعابر، ولعل القرار الأخير الذي اتخذته الدولة المغربية بشأن تعطيل الاستيراد والتصدير عبر هذه المعابر سيشكل دعماً أساسياً لتطور القطاع بالمنطقة، خاصة حين الانتهاء الكلي من أشغال "المركب الصناعي سلوان" (بلغ عدد المشاريع المستوطنة بهذا المركب 12 مشروعاً أواخر سنة 2018)، وميناء الناظور غرب المتوسط.

2.3. التوجه نحو تقوية التجارة الدولية عبر مشروع المنشأة المينائية بإعزانن

في إطار الاستراتيجية الوطنية للموانئ 2030 التي ينفجها المغرب من أجل تعزيز دوره في التبادل التجاري العالمي، استفادت منطقة إعزانن (نحو 30 كلم غرب مدينة الناظور) من احتضان أحد أهم المشاريع المينائية التي تضمنتها هذه الاستراتيجية (6 أقطاب مينائية وطنية)، المتمثل في مشروع "ميناء الناظور-غرب المتوسط" الذي سيشكل محطة لوجستكية مهمة بحوض الأبيض المتوسط، ومن ثمة تسهيل رواج المبادلات التجارية بين دول أوروبا ودول إفريقيا والشرق الأوسط، والمساهمة بشكل كبير في النهوض بالمغرب الشرقي وإعطائه دفعة قوية للإقلاع الاقتصادي، خاصة في ظل وجود أورش تنمية كبرى أخرى (القطب الفلاحي ببركان، مشروع مارتشكا بالناظور، المركب الصناعي بسلوان، الخ).

ومن أجل حكمة تدبير هذا المشروع، تم تأسيس شركة عمومية "الناظور غرب المتوسط Nador West Med" للإشراف على إنجاز ومتابعة وتسويق هذا المشروع. في هذا الصدد، تم في 4 دجنبر 2012 التوقيع على 4 اتفاقيات بين الحكومة وهذه الشركة برئاسة صاحب الجلالة الملك محمد السادس، أما عن التكلفة المالية للمشروع، فقد قدرت في مرحلتها الأولى بـ 10 ملايين درهم، إذ ساهمت الشركة المذكورة بقيمة 4,6 مليار د عن طريق استخلاصها من مؤسسات وطنية، أهمها صندوق الحسن الثاني للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، والوكالة الوطنية للموانئ، في حين تم الحصول على القيمة المتبقية (5,4 م. د.) عبر إبرام الشركة لاتفاقيات قروض مع مؤسسات دولية (SOCIETE NADOR WEST MED, 2014, 4).

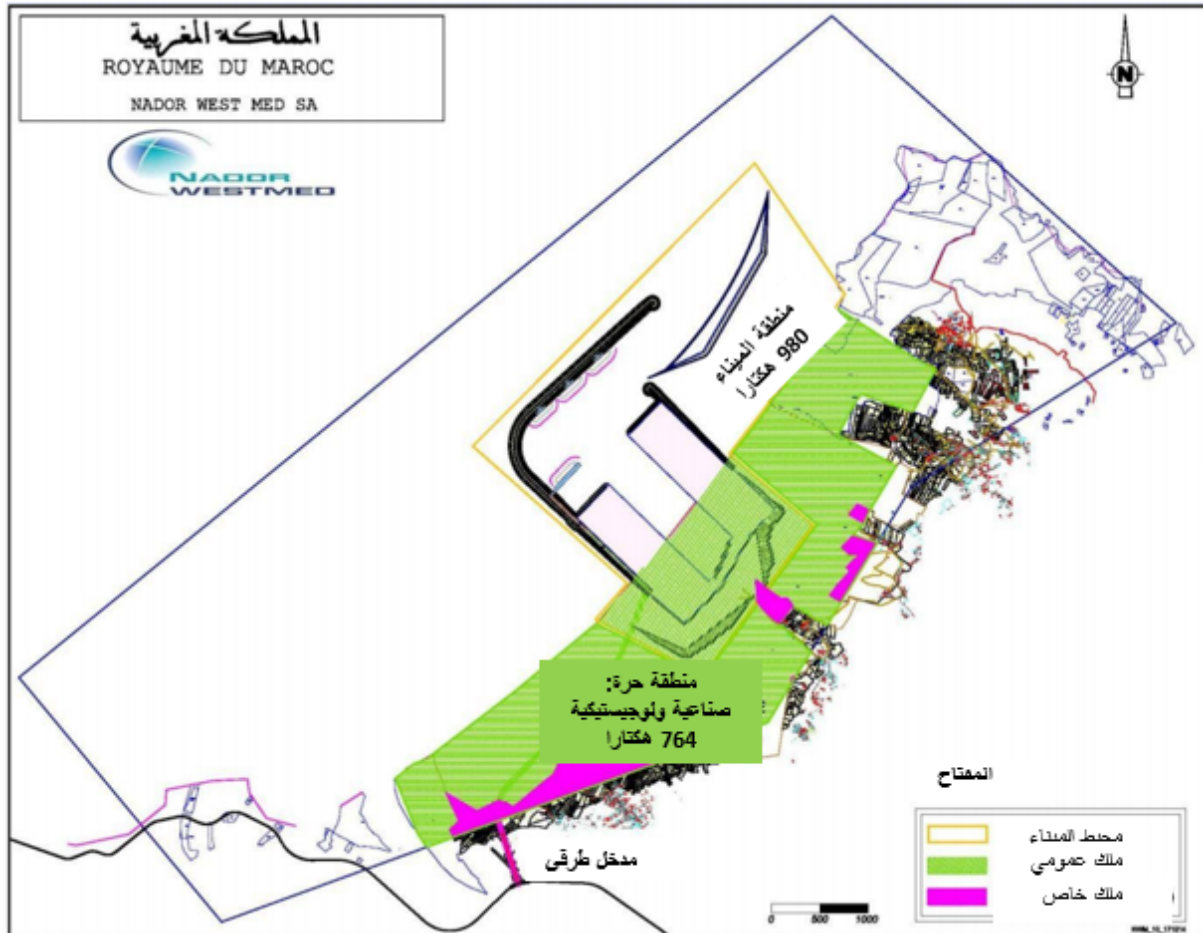
الشكل 6: موقع وموضع ميناء الناظور-غرب المتوسط



المصدر: (juin 2017) Images Google earth et Google Maps

يبعد مكان وجود هذا المشروع عن مدينة الناظور بمسافة 35 كلم جهة الغرب، ويقع بالضبط بخليج "بطيوة" المنتمي لجماعة إعرانن (الشكل 6)، وقد تم اختيار هذا الموقع لعدة اعتبارات تقنية وعملية نذكر منها: ضعف التعرض لخطر الأمواج؛ وجود ظروف طبوغرافية مواتية تساعد على إنجاز أشغال بناء الميناء؛ عمق المياه مما يساهم في إحداث ميناء بعمق كبير يسمح باستقبال السفن الكبرى الحاملة للحاويات من الجيل الجديد وسفن نقل المحروقات التي تصل حمولتها إلى 17 000 طن، هذا بالإضافة إلى توفر العقار العمومي (SOCIETE NADOR WEST MED, 2014, 5).

الخريطة 5: الوضعية العقارية والتجهيزات الرئيسية بموقع مشروع ميناء الناظور- غرب المتوسط

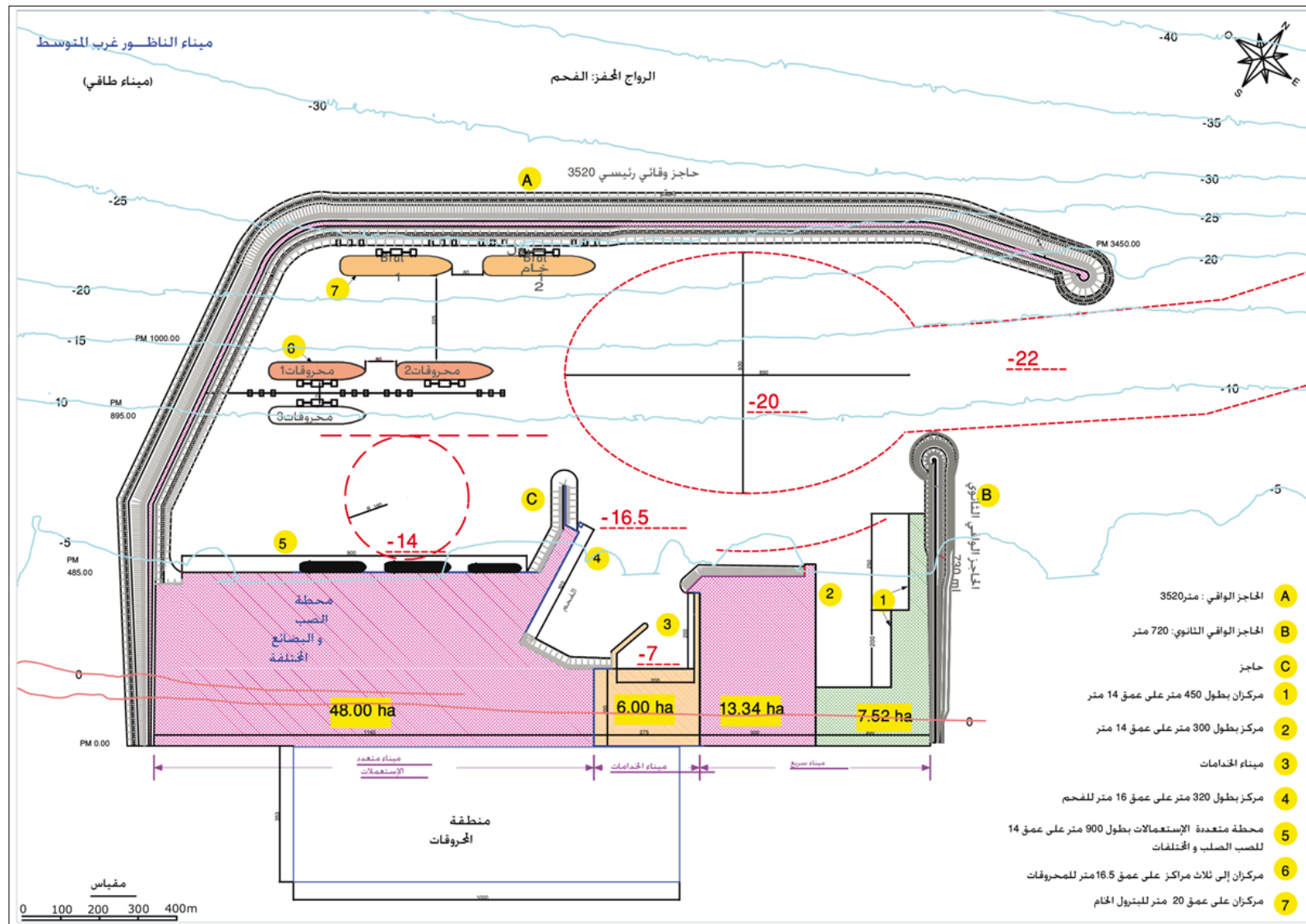


المصدر (بتصرف) : SE SOLUTION (2015), Projet Nador West Med (Maroc) :

Résumé non technique, [En ligne] [www. Sesolution.co.za](http://www.Sesolution.co.za)

ولقد تم تحديد ثلاثة أنشطة رئيسية لهذه المنشأة: تتجلى الأولى في إعادة الشحن للحاويات أو ما يسمى بـ "مسافنة الحاويات" (Transbordement des conteneurs)؛ لكون الموقع الجغرافي لهذه المنشأة يحاذي الخطوط البحرية الدولية الكبرى الممارسة لهذا النشاط، الشيء الذي سيعزز دور المغرب في هذا المجال، خاصة بحوض البحر الأبيض المتوسط. أما النشاط الثاني فيتعلق بتخزين وإعادة توزيع المواد البترولية؛ إذ يشكل الموقع الاستراتيجي لهذا الميناء كذلك محطة أساسية بين مناطق إنتاج المواد الخام البترولية (الشرق الأوسط)، وأكبر سوق استهلاكية لها (أوروبا)، هذا إلى جانب السعي لجلب الوحدات الإنتاجية المهتمة بالمحروقات حيث العرض العقاري متوفر (الخريطة 5)، كما سيسمح هذا النشاط بإنشاء مصفاة لتكرير البترول التي ستكون المصفاة الثانية بالمغرب، والتي ستوجه جزءا من إنتاجها نحو التصدير. في حين يرتبط النشاط الثالث والأخير بالتزود بالفحم الحجري (Charbon)؛ وذلك من أجل تلبية الاحتياجات المتوسطة والطويلة المدى بهذه المادة، لا سيما لمحطات إنتاج الطاقة الكهربائية (SOCIETE NADOR WEST MED, 2014, 9-10).

الشكل 7: التصميم الهندسي لتجهيزات ميناء الناضور- غرب المتوسط



ل، قنلاو زیهجتلا قرارو : ردصملا تیجیتارتسلا قفا فی فی ناوملا تیئطولا 2030. ص، 30

ومن أجل إنجاز هذه الأنشطة، تم وضع تصميم هندسي لهذه المنشأة، يضم بنى تحتية ضخمة تخص مختلف التجهيزات (الشكل 5). وستمّد مدة إنشائها إلى غاية سنة 2030، بحيث تنقسم هذه المدة على مرحلتين أساسيتين: المرحلة الأولى ممتدة بين 2015-2020 حيث أشغالها جارية (الصورة 7)، بينما الثانية ستمتد ما بين 2020-2030.

الصورة 7 (أ، ب، ج، د): تقدم أشغال إنجاز مشروع ميناء الناظور-غرب المتوسط في سنة 2019



المصدر: الموقع الإلكتروني أريفيو (25 فبراير 2019)، روبرتاج أريفيو تأخذكم في جولة خاصة لتطلعكم على تقدم الأشغال في ميناء الناظور غرب المتوسط، [www.ariffino.net]

لا شك أن إنجاز التجهيزات الموضحة في التصميم الهندسي (الشكل 5)، سيمكن ميناء الناظور-غرب المتوسط من لعب دور مهم جدا في النشاط الطاقوي، كما سيتمكن من رفع المبادلات التجارية السنوية إلى 10 ملايين طن من البضائع، ونقل 1,9 مليون مسافر منهم 200 ألف سائح بحري (وزارة التجهيز والنقل، ص. 27).

علاوة على الدور المحوري الذي سيلعبه هذا الميناء من ناحية التبادل التجاري العالمي، وما ستكون له من آثار إيجابية على الجانبين الاقتصادي والاجتماعي، سيساهم كذلك في تحسين الأوضاع العامة للمنطقة التي يقع بها؛ وذلك عبر استفادتها من العديد من البنى التحتية والتجهيزات المرافقة، أهمها: ربط منطقة إعران بشبكة طرقية جيدة (طرق سيطرة)، حيث سيتم ربط الميناء بالشبكة الطرقية الوطنية، وربط الميناء بالسكة الحديدية عبر محور الناظور-تاويرت، وإنشاء شبكة التطهير السائل لحماية منطقة الميناء وما حولها من خطر الفيضانات، وتزويد المنطقة بشبكة الماء الصالح للشرب.

وتبعاً لذلك ستصبح منطقة إعران منطقة مينائية-صناعية، الشيء الذي سيقوي العلاقات الوظيفية بين مدينة الناظور والمناطق المحيطة بها، ولعل مشروع هذا الميناء كان السبب الرئيسي لإدراج منطقة إعران ضمن مدار المجموعة العمرانية للناظور في المشروع الجديد لإنجاز المخطط التوجيهي للتهيئة العمرانية للناظور.

3.3. رهان الاستقطاب السياحي المرتكز على تفعيل المشاريع السياحية السبعة للبرنامج السياحي مارتشيك

أهل الغنى الطبيعي لبحيرة مارتشيك (سبخة بوعرگ) للاستفادة من برنامج سياحي كبير (الشكل 8)، تمثل في "تهيئة موقع بحيرة مارتشيك" الذي أعطى انطلاقته صاحب الجلالة الملك محمد السادس سنة 2008، ولتحقيق هذا الغرض تم إحداث "وكالة مارتشيك" سنة 2010، للإشراف على تنفيذ مشاريع المواقع السياحية الكبرى التي يحتويها هذا البرنامج، وكذا تدبير

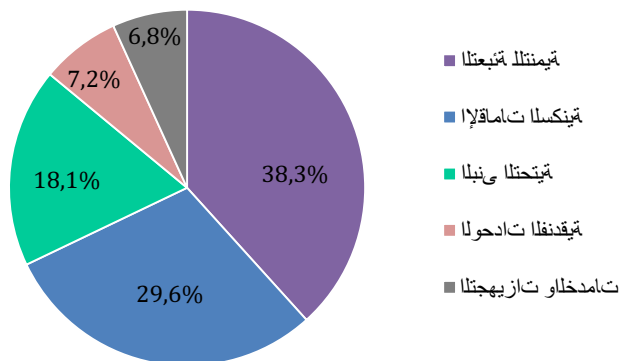
المجال الواقع بضفة هذه البحيرة المحدد في مساحة 7 500 هكتار (أجزاء من جماعات بني أنصار والناصور وبوعرگ وأركمان).

المشاريع السياحية لبرنامج تهيئة بحيرة مارتشيك 8 الشكل :



المصدر (بتصرف): وكالة مارتشيك بالناصور (2016)

الشكل 9: توزيع نسب الاستثمار حسب القطاعات لبرنامج تهيئة موقع بحيرة مارتشيك (%)



المصدر: وكالة مارتشيك ميد الناصور (2014)

تبلغ المساحة الإجمالية التي يستهدفها هذا البرنامج 20 000 هكتار، وقد رصد له مبلغ مالي بقيمة 46 مليار درهم، منها 13,6 م. د. (29,6%) لقطاع السكني، و 8,3 م. د. (18,1%) للبنى التحتية، و 3,3 م. د. (7,2%) للإقامات الفندقية، و 3,1 م. د. (6,8%) للتجهيزات والخدمات، و 17,6 م. د. (38,3%) لتنمية ضفة هذه البحيرة (الشكل 9)، فهو يهدف إلى توفير بنية تحتية استقبالية بطاقة استيعابية محددة في 101 200 سرير، و 1 000 فيلا، و 2 400 شقة، و 6 موانئ ترفيهية (مارينا)، وبنيات تحتية رياضية، كما يروم خلق 80 000 منصب شغل مباشر وغير مباشر.

الجدول 3: مميزات المشاريع السياحية التابعة لبرنامج تهيئة بحيرة مارتشيك

اسم المشروع	مساحة المشروع (بالهكتار)	القيمة المالية للمشروع	تاريخ بداية المشروع والمتوقع لنهاية أشغاله	مرافق وتجهيزات المشروع
مدينة أطليون	45,2	نحو 400 مليون د.	2010-2014	- ميناءان ترفيهيان، وأكاديمية للجولف، وملعب للجولف بـ 18 حفرة؛ - 650 فيلا ورياض، و2230 شقة (14.000 سرير)، ووحدة فندقية مكونة من 370 غرفة (740 سرير)؛ - فندقان أربعة نجوم، وفندقان خمسة نجوم.
مدينة الشاطئين	15	360 مليون د.	2010-2014	- ميناءان ترفيهيان، وسوق، ومركز للبحث؛ - 320 فيلا (1.920 سرير)، و193 شقة (772 سرير)، ووحدة فندقية مكونة من 280 (560 سرير).
المدينة الجديدة للناصور	76,3	---	2012-2020	- خلق مدينة جديدة شمال نواة مدينة الناصور: قرية-مارينا؛ - بنية تحتية فندقية مكونة من 32.000 سرير.
قرية الصيادين	16,8	---	2014-2018	- ميناء للصيد، وميناء ترفيهي؛ - البنية التحتية للإقامة مكونة من 6.000 سرير.
خليج طيور النحام	76,7	---	2017-2022	- تجهيزات السياحة المائية، ورياضة الجولف؛ - البنية التحتية للإقامة مكونة من 29.000 سرير.
مارتشيك الرياضية	14,1	---	2017-2022	- مرافق للتدريب وممارسة الرياضة العالية المستوى؛ - بنية تحتية فندقية مكونة من 5.000 سرير.
مروج مارتشيك	13,9	---	2019-2025	- منتزه طبيعي؛ - البنية التحتية للاستقبال مكونة من 12.000 سرير.

المصدر (بتصرف): وكالة مارتشيك الناصور (2016)

مما لا شك فيه أن إنجاز هذه المشاريع (الجدول 3) سيحدث تحولا كبيرا في المشهد العام لبحيرة مارتشيك والمناطق المحاذية لها، مما سيجعل هذا المجال قطبا سياحيا مهما، وجهة سياحية ذات استقطاب وطني ودولي، ومن ثم دخوله غمار المنافسة للمحطات السياحية بالمنطقة المتوسطة. غير أن هذا الرهان يتوقف على مدى تنفيذ أوراش هذه المشاريع وفق ما هو مسطر في بطائقها وتصاميمها التقنية، وكذا مدى الالتزام بالأجل الزمني المخصص لكل مشروع.

وبما أن "برنامج تهيئة بحيرة مارتشيك" ركز في مشاريعه السبعة، على تعزيز السياحة الإيكولوجية والبيولوجية، فكان أول ما قامت به "شركة مارتشيك"، تخليص هذه البحيرة من المياه الراكدة التي كانت تهدد أحياءها البحرية والبرية، وذلك بواسطة إعادة فتح الممر البحري وتوسيعه بمنطقة بوقانا بطول 1000 متر، وعرض 300 متر، وعمق يتراوح بين 7

و 8 أمتار، وقد انتهت أشغال إنجاز ه سنة 2011 (الصورة 8)، مما سمح بإعادة تدفق مياه مهمة من مياه البحر الأبيض المتوسط وتجديد الحياة بها.

الصورة 8: حاجز الممر البحري بمنطقة بوقانا



المصدر: تصوير بلال بوجي (5 يونيو 2018)

وقد تم كذلك تخليص البحيرة من المياه العادمة، بحيث تم إنشاء محطة لمعالجة هذه المياه بجماعة بوعرگ (بداية الأشغال في 2011)، وهي محطة متطورة تستعمل أحدث التقنيات في التصفية، الأمر الذي جعلها تصنف من أهم المحطات بالضفة الجنوبية للمتوسط، وتقوم بمعالجة المياه العادمة لمدينة الناضور ومراكز بني أنصار والزغنان وإحدادن وجعدار وأركمان وتاوبمة وسلوان. وقد بُدلت كذلك مجهودات مهمة لتنقية سطح البحيرة وضافها من الملوثات المتراكمة بها، هذا بالإضافة إلى إحداث منتزه للطيور بهذه البحيرة، والذي يضم طيوراً من أصناف متنوعة بما فيها النادرة والمهددة بالانقراض، ما جعله يعتبر أكبر منتزه للطيور بالضفة الجنوبية للمتوسط.

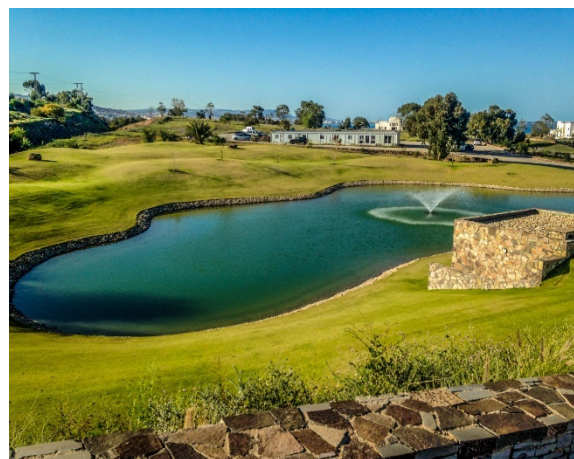
أما في ما يخص "مشروع أطليون" الذي تم وضعه في مقدمة المواقع السياحية السبعة المزمع إنجازها، فقد تم إنجاز الشطر الأول منه (2016)، حيث تم إحداث أكاديمية للجولف التي تعد من أكبر الأكاديميات بحوض المتوسط، وإنشاء ميناء ترفيهي، وأربعة فنادق (فندقان بخمسة نجوم)، وبناء إقامات ومركبات سياحية رفيعة (الصور 9 و 10 و 11 و 12).

الصورة 10: الميناء الترفيهي بأطليون



المصدر: تصوير بلال بوجي (5 يونيو 2018)

الصورة 9: أكاديمية الجولف بأطليون



المصدر: تصوير حسين الترك (10 دجنبر 2018)

الصورة 12: الوحدات الفندقية بأطليون



المصدر: تصوير حسين الترك (10 دجنبر 2018)

الصورة 11: البنايات السكنية بأطليون



المصدر: تصوير بلال بوجي (5 يونيو 2018)

كما بدأت الأشغال لتهيئة "مدينة الشاطئ" الواقعة قرب الشريط الرملي الذي يفصل البحيرة عن البحر الأبيض المتوسط، بحيث تم تشييد البنى التحتية الأساسية المتمثلة في الحواجز الصخرية التي تحدد الهندسة العامة لهذا المنتجع السياحي الإيكولوجي، إلا أن أشغال هذا المشروع تبدو بطيئة جدا مع العلم أن التاريخ المقرر لانتهاء أشغاله كان هو سنة 2014.

الصورة 13: تهيئة كورنيش الناظور



المصدر: تصوير حسين الترك (أكتوبر 2018)

وتعتبر إعادة تهيئة "كورنيش مدينة الناظور" أبرز الإنجازات التي تحققت (الأشغال جارية)، حيث تم تشجير وغراسة هذا الفضاء بنباتات رفيعة، وتبليط مساحات مهمة، وتكثيف وتجويد مستوى الإنارة العمومية، وخلق أماكن للاستجمام والترفيه، هذا فضلا عن إحداث شاطئ اصطناعي بطول تصل مسافته 1 200 متر (الصورة 13).

ومن أجل خلق التوازن بين ما هو اقتصادي وإيكولوجي واجتماعي، تسهر "شركة مارتشيك" على إعادة تهيئة الأحياء الناقصة التجهيز المطلة على البحيرة، بواسطة تقوية بناها التحتية.

4. آفاق: الاقتصاد المحلي متجه نحو تقوية بعض أنشطة القطاعين الثاني والثالث التي من شأنها تحسين أداء الاقتصاد المهيكل وتقوية الانفتاح على الخارج

انطلاقا مما تم عرضه، يمكن أن نستخلص مجموعة من الاستنتاجات، التي على أساسها يمكن قراءة آفاق الاقتصاد المحلي لمجال الدراسة. فعموما سيشهد هذا الاقتصاد تحولا مهما؛ بحيث ستتراجع أهمية بعض الأنشطة لصالح أنشطة أخرى، سواء تعلق الأمر بالأنشطة التي كانت موجودة أو ببروز أنشطة جديدة. في هذا الصدد، تعتبر أنشطة القطاع الأول هي التي ستشهد تراجعا كبيرا إذا ما قورنت بأنشطة القطاعين الثاني والثالث.

فالنشاط الفلاحي بالدائرتين السقويتين (بوعرگ والگارت) لم يعد يستأثر باهتمام السلطات العمومية كما كان عليه الأمر بعد الاستقلال وخاصة منذ السبعينات؛ فهو أصبح يشكو يوما بعد يوم من العديد من العوائق التي تحد تطوره الإيجابي، خصوصا على مستوى نقص مياه الري، الذي يُعدّ المشكل الأبرز لباقي التحديات التي تواجهه، والمتمثلة أساسا في: تراجع المساحات المستغلة، هيمنة الزراعات البورية، تفتت الاستغلاليات بفعل عامل الإرث، محدودية تنوع أنماط المنتجات الفلاحية، الزحف العمراني على الأراضي الزراعية. بذلك يكون إذن هذا النشاط مهدد بتراجع أدائه على مستوى مساهمته في الاقتصاد المحلي، لا سيما إذا ما استمر الوضع على ما هو عليه؛ بمعنى إذا لم تتخذ إجراءات ناجعة بهدف تعزيز أهميته.

وإلى جانب هذا التهديد المرتبط بالنشاط الفلاحي، فقد اختفى قبله نشاط التعدين (نشاط ضمن القطاع الأول) مع أواخر التسعينات. في الواقع، شهد الاقتصاد المحلي منذ ذلك الوقت تغييرا مهما، خاصة وأن هذا النشاط كان أحد الركائز الأساسية لهذا الاقتصاد منذ الفترة الاستعمارية وبعد الاستقلال كذلك. ولإشارة، فهذا النشاط يمكن بعثه من جديد؛ حيث ما زالت جبال بني بويغور تتوفر على احتياط مهم من معدن الحديد.

ولم يسلم النشاط التجاري (القطاع الثالث) كذلك من هذا التراجع، سواء تعلق الأمر بالتجارات المرتبطة بنشاط التهريب المعيشي، أو الأسواق الأسبوعية. هذان النشاطان، طالما كانت لهما أهمية كبرى، منذ الفترة الاستعمارية، غير أنه في العقدين الأخيرين بدأ يتراجع وزنهما في الاقتصاد المحلي، والأسباب في ذلك راجعة بالنسبة للأول إلى الخناق الممارس في المعابر من طرف السلطات المغربية التي تتجه نحو التوقيف النهائي لتدفق السلع المهربة، وإلى تراجع القيمة النوعية للمواد المهربة التي لم تعد تجذب الزبناء خاصة في ظل إغراق الأسواق بالمنتجات الصينية والتركية. أما الأسواق الأسبوعية، فتراجعها مرده هو انتشار الأسواق اليومية والمحلات التجارية التي حلت محلها، لا سيما بالمناطق الحضرية.

لكن في المقابل، شهد القطاع الثاني، تطورا إيجابيا مهما، منذ الاستقلال إلى يومنا هذا، وإن كانت تواجهه العديد من التحديات، التي تسعى السلطات العمومية جاهدة للتغلب عليها، قصد تسريع عجلته وتحسين أدائه ضمن الاقتصاد المحلي للمنطقة. من هنا، يبرز أن النشاط الصناعي يعتبر أحد الرهانات الأساسية التي تراهن عليها السلطات العمومية لتوجيه هذا الاقتصاد نحو الانفتاح على الخارج، خاصة بعد أن يكتمل مشروع المنشأة المينائية "الناصور غرب المتوسط".

وعلى إثر ذكر هذه المنشأة المستقبلية، فإن الآفاق الحقيقية للاقتصاد المحلي، سترتبط حقيقة بتنوع الأنشطة التي تستهدفها؛ وخاصة ما يتعلق بالتجارة الدولية التي تستهدف بالدرجة الأولى جانب الطاقة. إن نهاية إنجاز هذا المشروع، والالتزام بالأدوار والوظائف المنوطة بها، سيكشف وجه جديد للاقتصاد المحلي، ليس فقط على مستوى الأنشطة المينائية التي قد ستجمع بين أنشطة الثلاثة قطاعات، وإنما كذلك أنشطة أخرى مرافقة ستكون في علاقة مباشرة أو غير مباشرة تقع خارج المنطقة المينائية.

كما أن الاقتصاد المحلي، سيتجه نحو الاعتماد على النشاط السياحي، الذي يعتبر كذلك نشاطا جديدا بالمنطقة؛ فهو الآخر منخرط في إطار السياسة الهادفة إلى توجيه الاقتصادات للانفتاح على الأسواق الخارجية، قصد استقطاب المزيد من الإيرادات المالية الأجنبية.

أما القطاع التجاري، فقد يحافظ على أهميته، لكن ليس في إطار علاقته بتجارة التهريب، وإنما بفضل السياسة التي تسعى السلطات العمومية إلى نهجها بخصوص تشجيع الاستيراد عن طريق الخطوط التجارية التي ستقام بميناء بني أنصار، وذلك من خلال تقديم تحفيزات جمركية، حتى يتم الاستغناء عن السلع المتدفقة من جيب مليلية المحتل.

إجمالاً، يظهر أن التحول الذي يشهده هذا الاقتصاد، سيجعل المنطقة متميزة بخاصيتين أساسيتين هما: تراجع أهمية الاقتصاد غير المهيكل، الذي طالما شكل عصب الدورة الاقتصادية المحلية، بسبب تدفق السلع المهربة من جيب مليلية المحتل. ثم تقوية الانفتاح الاقتصادي على الخارج، مما سيجعل المنطقة على غرار العديد من المناطق الوطنية الأخرى (طنجة، الدار البيضاء الكبرى، أكادير) منخرطة في التوجه الذي اتخذته الدولة المغربية. وهذا من شأنه أن يخفف من الهشاشتين الاقتصادية والاجتماعية.

خاتمة

نتج عن الاحتلال الاستعماري لمنطقة الريف عموماً ولمنطقة الدراسة خصوصاً، حدوث تحول اقتصادي مهم، فبعدما كانت الفلاحة التقليدية تشكل عصب الاقتصاد المحلي قبل الحماية، عمل الاستعمار الإسباني في إطار سياسته الاستغلالية على تنويع القاعدة الاقتصادية، بتركيز اهتماماته على استخراج المعادن من جبال بني بوفروور، وعلى فلاحة عصرية بسهلي الكارت وبوعرگ، وعلى النشاط التجاري بالنوى العمرانية الحضرية التي أسستها السلطات الإسبانية، ثم الأسواق الأسبوعية التي تم تحويل أماكن معظمها، فتغير شكلها وانتعش رواجها التجاري، خاصة بعدما تم مد معظمها بالشبكة الطرقية.

إلا أن التحول الحقيقي الذي مس هذا الاقتصاد، حدث بعد الاستقلال ولا سيما بعد السبعينات، حيث تطورت الأنشطة الاقتصادية التي ظهرت خلال الفترة الاستعمارية، فتم إطلاق مشاريع التهيئة الهيدروزراعية بسهلي بوعرگ والكارت، وتأميم قطاع المناجم ببني بوفروور التي توقف نشاطها أواخر التسعينات، وانتعش رواج الأسواق الأسبوعية في العقود الأولى التي تلت الاستقلال، وإن كان رواجها التجاري شهد تراجعاً ملموساً خلال السنوات الأخيرة، كما ظهرت أنشطة اقتصادية جديدة، جاءت في إطار المشاريع الوطنية الكبرى (مركب الحديد والصلب بالعروي والمناطق الصناعية بسلوان وبني أنصار)، وتطور النشاط التجاري بسبب انتعاش نشاط التهريب المعيشي بالمعابر مع جيب مليلية المحتلة بعد الثمانينات (بروز مركبات تجارية كبرى بمدينة الناظور)، ثم السعي في السنوات الأخيرة لتطوير النشاط السياحي من خلال استغلال المؤهلات السياحية المتاحة، خاصة ببحيرة مارتشيك (سبخة بوعرگ)، والتوجه نحو تطوير التجارة الدولية من خلال الأنشطة المنوطة بمشروع المنشأة المينائية "الناظور غرب المتوسط" بمنطقة إعران، هذا علاوة على التقليل من أهمية التجارة غير المهيكل المرتبطة بنشاط التهريب المعيشي بواسطة خلق بدائل من شأنها الحفاظ على الوزن المهم للنشاط التجاري في الاقتصاد المحلي المهيكل. الأمر الذي يدل على أن هذا الاقتصاد سيكون في المستقبل أكثر هيكلية وأكثر انفتاحاً على الخارج.

Références bibliographiques

- AGENCE DE L'ORIENTAL, Grands Projets Structurants, 08/09/2015 [En ligne]
- AGENCE DE MARCHICA (2016), Fiches techniques des projets touristique
- BANQUE EL MAGHREB -NADOR, Statistiques
- BERRIANE M. & HOPFINGER H. (1999), Nador (Maroc) petite ville parmi les grandes, Collection villes du monde arabe, volume n°4 Urbama, Tours, 219 p.
- BOUGI B. (2019), Application les fondements de la gouvernance territoriale dans la gestion des ressources des migrations internationales dans la commune de Tamsamani (Nord Est du Maroc) (en arabe), In BOUBERIA A. (ed.) *La gouvernance territoriale : Levier de développement*, Faculté polydisciplinaire Taza, pp. 65-79 (en arabe)
- BOUGI B., AZZI H. et ZERROUK H. (2019), Le déficit des ressources en eau et son impact sur l'exploitation agricole dans les périmètres irrigués de Bouarg et Garet (Nord-Est du Maroc), In SBAI A. (ed.) *actes du colloque international sur les risques naturels et l'aménagement du territoire, UMP-Oujda, pp. 13-18* (en arabe)
- CHAMBRE DE COMMERCE, D'INDUSTRIE ET DE SERVICES-NADOR, Statistiques (2000, 2012 et 2017)
- DELEGATION DE LA PECHE MARITIME -NADOR, Statistiques
- DERRUAU M. (2005), Géographie humaine, Armand Colin, Paris, 447 p.
- ESSADEK A. (1986), Jerada : à-coups de la croissance et sous-équipement d'une ville minière, In «*Petites villes et villes moyennes dans le monde arabe*», Fascicule n° 16 Urbama, Tome I, Tours, pp. 327-341
- HAUT COMMISARIAT AU PLAN ORIENTAL (2016), Annuaire statistique
- INVESTIGATIONS SUR LE TERRAIN (pendant 2014 et 2015)
- KAGERMIER A. et MURICH (R.F.A) (1993), Structure et transformation des souks dans les régions à forte émigration internationale. L'exemple de la province de Nador., RGM n° 15, pp. 207-228
- MAPDREF : Département de la Pêche Maritime, Les statistiques, 11/03/2017 [En ligne]
- MATUHE - DIRECTION DE L'AMENAGEMENT DU TERRITOIRE, Schéma de Développement et d'Aménagement Régional de l'Oriental (SDAR) : Rapport de prospective (2000) & Espaces de projets et programmation (2002), Edesa, Rabat
- MICNT, Fiche technique du projet « parc Industriel de Selouane », 08/09/2015 [En ligne]
- MI-DIRECTION DE L'URBANISME ET DE L'AMENAGEMENT DU TERRITOIRE ET DE L'ENVIRONNEMENT (1989), Schéma Directeur d'Aménagement de l'Aire Urbaine de Nador (1985-2005), Rapport Final

- MINISTERE DE L'EQUIPEMENT ET DU TRANSPORT, Stratégie portuaire nationale à l'horizon 2030 (Rapport) [En ligne]
- MTPC - DIRECTION DE L'HYDRAULIQUE – DIVISION DES RESSOURCES EN EAU (1971), Ressources en eau du Maroc, Tome I, 317 p.
- NAJI O. (2005), L'habitat sous équipé dans la ville de Nador : Diagnostic et rôle des acteurs, Mémoire de 3^{ème} cycle en aménagement et urbanisme, INAU Rabat, 242 p.
- OFFICE REGIONAL DE MISE EN VALEUR AGRICOLE DE LA MOULOUIYA, Monographie (2015) et Statistiques (2017)
- SOCIETE NADOR WEST MED (2014), Projet Nador west Med: Note de presentation sommaire, 08/09/2015 [En ligne]
- SONASID, Historique & Les rapports annuels des années 2004, 2011, 2015 et 2016, 13/02/2017 [En ligne]
- TROIN J.F. (1967), Le nord-Est du Maroc, Mise en point régionale, In : Revue de Géographie du Maroc n° 12, pp. 5-41
- TROIN J.F. (1975), Les souks marocains : marchés ruraux de l'espace dans la moitié nord du Maroc, collection « connaissance du monde méditerranéen », Edisud, Aix en Provence, 503 p.